دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التشهير في ضوء القرآن الكريم
المؤلف الرئيسي:	عبدالله، إبراهيم حامد محمد عمر
مؤلفين آخرين:	عبدالرحمن، محمد حسن محمد(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2014
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 456
رقم MD:	648724
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم، الشريعة الإسلامية، التشهير في القرآن، الأحكام الشرعية، الأخلاق الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/648724

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

المبحث الأول

معنى التشهير في اللغة والاصطلاح،وصور التشهير

المطلب الأول

التشهير لغة وإصطلاحا

التشهير لغة: من شهر إشاعة السوء عن إنسان بين الناس[1].ففي اللسان: الشُّهْرَةُ ظهور الشيء في شُنْعَة حتى يَشْهَره الناس وقال:، الجوهري الشُّهْرَة وُضُوح الأَمر وقد شَهَرَه يَشْهَرُه شَهْراً وشُهْرَة فاشْتَهَرَ وشَهَّرَهُ تَشْهِيراً واشْتَهَرَه فاشْتَهَر.[2]

الشُّهْرَةُ بالضم : ظُهورُ الشيءِ في شُنْعَةٍ.. وشَهَرَ سَيْفَه كمنع وشَهَّرَه: انْتَضاهُ فَرَفَعَهُ على الناسِ[3] .وقال الليث: قال: والشُّهْرة: ظهورُ الشيء في شُنْعة حتى يشهَره الناس، ورجل مشهور، وأَمْر مشهور، ومُشهَّر، وشَهرَ فلانٌ سيفَه: إذا انتضاه من غِمْده فَيرفَعَهُ على الناس[4]. وقال: ثعلب عن ابن الأعرابيّ: الشُّهْرة: الفَضِيحة[5].وفي الحديث(من لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَة أَلبسه الله ثوبَ مَذَلَّة)[6] وعن أبي موسى الأشعري قال:قال رسول الله ﷺ :(من شهر علينا

---

[1] معجم لغة الفقهاء،ج1، ص132) د. محمد رواس قلعتجي ،دار النفائس.

[2]. السان العرب – (4 /431) لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)،ن/ دار صادر – بيروت،ط/3 – 1414 هـ.).

[3].القاموس المحيط – (1 / 540) للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادىّ الشيرازى (729– 817 هـ)،وانظر لترجمته: تاريخ ابن يونس المصرى (2/ 547) عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبو سعيد (المتوفى: 347هـ)،ن/ دار الكتب العلمية، بيروت،ط/1، 1421 هـ..

[4]. تهذيب اللغة – (2 / 267) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،ت/ محمد عوض مرعب،ن/ دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط/1، 2001م.

[5]. تهذيب اللغة – (2 / 267)المرجع السابق.

[6]. مسند الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، (5/ 170) حديث رقم (5664) عن ابن عمر ت/ أحمد شاكر،ن/ دار الحديث – القاهرة،ط/1، 1416 هـ وانظر سنن أبي داود (6/ 143) ت/الأرنؤوط ، باب في لبس الشُّهْرَة، حديث(4029). والسنن الكبرى (8/ 389)/ لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) ذكر ما يستحب من الثياب وما يكره، حديث رقم(9560) ،وسنن ابن ماجه (2/ 1192)،باب من لبس شهرة من الثياب،حديث رقم(3606)،لأبي عبد الله ابن ماجه الحافظ الكبير المفسر محمد بن يزيد القزويني بن ماجه الربعي صاحب السنن،والتفسير ،والتاريخ ،والمحدث(209 – 273هـ) ت/ محمد فؤاد عبد الباقي،ن/ دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي،(الموسوعة العربية العالمية).انظر لترجمته: تذكرة الحفاظ الحفاظ للذهبي (2/ 155) شمس الدين أبو عبد

السلاح فليس منا)[1] وأخرجه مسلم بلفظ (حمل) بدل (شهر) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاَحَ فَلَيْسَ مِنَّا»[2].

التشهير اصطلاحا:لا يخرج استعمال الفقهاء له عن المعنى اللغوي[3].. وعُرّف بقولهم:(أن يبعث القاضي رجلا إلى محلته ليقال إنا وجدنا هذا شاهد الزور فاحذروه وإن كان سوقيا يبعثه إلى محلته فيقال ذلك)[4]. .وجاء في تعريفه أيضا:الإعلان عن جريمة المحكوم عليه. وكان التشهير يحدث قديماً بالمناداة على المجرم بذنبه في الأسواق والمحلات العامة حيث لم تكن هناك وسيلة أخرى، أما في عصرنا الحاضر فالتشهير ممكن بإعلان الحكم في الصحف أو لصقه في المحلات العامة. [5].

الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)،ن/ دار الكتب العلمية بيروت–لبنان،ط/1، 1419هـ– 1998م.

[1]. سنن ابن ماجه (2/ 860)مرجع سابق.

[2].المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (1/ 98) باب(42)عند قول النبي ﷺ: «من حمل علينا السلاح فليس منا) تأليف/مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. الإمام الحافظ الحجة، المصنف الشهير في الحديث وعلومه، ولد وتوفي بنيسابور (204 – 261هـ، 820 – 875م) ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي،ن/ دار إحياء التراث العربي – بيروت.وانظر لترجمة الإمام مسلم:كتاب/ الكنى والأسماء للإمام مسلم (15/1)،والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (8/ 182) تاريخ نيسابور (ص: 34) وتلخيص تاريخ نيسابور، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى:405هـ)،والإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (2/ 817).

[3].الموسوعة الفقهية الكويتية(42/12).،صادر عن/ وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت،ط/ (من 1404 – 1427 هـ)، دار السلاسل – الكويت.

[4]. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (1/ 202) /للقاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)،عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص ،ن/ دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت،ط/1، 1421هـ – 2000م.

[5].التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي (2/ 267) ،لعبد القادر عودة (المتوفى : 1373هـ)،ن/ دار الكتب العلمية،والشيخ عبد القادر/ محام من علماء القانون والشريعة بمصر، اتهم بالمشاركة في حادث إطلاق الرصاص على الرئيس جمال عبد الناصر (1954) وأعدم شنقا على الاثر مع بضعة متهمين آخرين.انظر(الأعلام للزركلي)ص((4/ 42)،تأليف/ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)،ن/ دار العلم للملايين،ط/ 15 – أيار / مايو 2002 م

وفي المصطلح المملوكي عرّف: بأن يركب المذنب حماراً أو برذوناً أو جملاً ويطاف به في أحياء المدينة وينادى بأفعاله وجرائمه[1] .

وحاصل التعريف اللغوي والاصطلاحي أن التشهير يعني العلانية والظهور وفشوّ الخبر في نطاق واسع،ويزيد التعريف الاصطلاحي بتضمنه معنى الفضيحة، والإخزاء بين الناس،حيث يؤدي به ذلك إلى الأذى الكلي أو النسبي في السمعة.

المطلب الثاني

بيان معنى كلمة(ضوء) القرآن الكريم

ضوء القرآن الكريم كلمة مركبة ذات شقين،الشق الأول:معنى ضوء والشق الثاني:معنى القرآن الكريم.

المسألة الأولى:معنى الضوء يُقَال عشوتُ إِلَى ضوء ناره، وَهُوَ أَن تجيئها بِغَيْر نظر ثَابت فتهتدي بناره[2]. والتَّضَوُّءُ: أَن يقومَ الإنسانُ فِي الظّلمة حيثُ يَرى بضَوء النَّار أهلَها وَلَا يَرَوْنَه[3]. والضوء[4] مصدر ضاء يضوء ضوء يقال ضاء وأضاء أي ضاء هو وأضاء غيره.

---

[1]. معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ص(45) محمد أحمد دهمان،ن/ دار الفكر المعاصر . بيروت . لبنان،دار الفكر . دمشق . سوريا .ط/1، 1410 هـ . 1990 م .

[2].جمهرة اللغة (3/ 1293) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ، ولد بالبصرة.ونشأ بعمان في الفترة(ولد سنة 223 وتوفي سنة 321 هـ)، وطلب علم النحو، وكان من أكابر علماء العربية مقدماً في اللغة وأنساب العرب وأشعارهم ،ت/ رمزي منير بعلبكي،ن/ دار العلم للملايين – بيروت،ط/1، 1987م.وانظر لترجمته: نزهة الألباء في طبقات الأدباء (ص: 191). لكمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)،ن/ مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن،ط/3، 1405 هـ – 1985م.وينظر للترجمة كذلك: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (4/ 323) لابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)،ن،/ دار صادر – بيروت. وسير أعلام النبلاء ط الحديث (11/ 398) مرجع سابق.

[3] . تهذيب اللغة (12/ 68) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،مرجع سابق.

[4].معجم الفروق اللغوية (ص: 332) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)،ت/ الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»،اط/1، 1412هـ.

والفرق بين الضياء والنور:هو أنهما مترادفان لغة.وقد يفرق بينهما بأن الضوء: ما كان من ذات الشئ المضيئ، والنور: ما كان مستفادا من غيره.وعليه جرى قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا ﴾[1]الآية .وقال الراغب[2]: النور الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار.وهو ضربان: دنيوي وأخروي.والدنيوي ضربان: معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأنوار الإلهية كنور العقل ونور القرآن.ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾[3] الآية ،ومحسوس بعين التبصر: وهو ما انتشر من الأجسام النيرة، كالقمرين والنجوم النيرات، ومنه:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا ﴾[4]ومن النور الأخروي قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ ١٢ ﴾[5] الآية.وقوله تعالى:﴿ أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ ١٢٢ ﴾[6] الآية،وقال:﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ ﴾[7] .وقال:﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾[8].

---

[1] . [سورة يونس الآية: 5].

[2] المفردات في غريب القرآن (ص: 827) ./ لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، المشهور بالراغب الأصفهانى (502 هـ = - 1108 م)،ت/ صفوان عدنان الداودي ،ن/ دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت،ط/1، - 1412 هـ ، له "التفسير الكبير" في عشرة أسفار، وله "مفردات القرآن" لا نظير له في معناها. وله "الذريعة إلى أسرار الشريعة" و"المحاضرات و"المقامات" وغيرها ،انظر للترجمة/البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص: 122) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)،ن/ دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع،ط/1421،1هـ- 2000م.والأعلام للزركلي (2/ 255)مرجع سابق.

[3].[سورة المائدة الآية: 15].

[4].[سورة يونس الآية: 5]

[5].[سورة الحديد الآية: 12].

[6].[سورة الأنعام الآية: 122].

[7] [سورة الشورى الآية: 52].

[8].[سورة الزمر الآية: 22].

والخلاصة من قولي في ضوء القرآن بمعنى في ظل هداياته، ونهجه،وسناه، ونميره العذب الذي لا ينضب.

والمسألة الثانية معنى القرآن الكريم:وهو المنزل ممن خلق الأرض والسماوات العلى، القادر على كل شيء،لقوله تعالى:﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾[1].فالذي أنزل هذا القرآن هو رب السماوات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما)،وفيه الهدي كما قال الله تعالى:﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[2]،وفي قوله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[3] ،وقوله:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[4] .وقد عرفه علماء علوم القرآن بقولهم:"كلام الله، المنزل على محمد ﷺالمتعبد بتلاوته"."الكلام" جنس في التعريف، يشمل كل كلام، وإضافته إلى "الله" يُخْرِجُ كلام غيره من الإنس والجن والملائكة.و"المنزَّل" يُخْرِج كلام الله الذي استأثر به سبحانه:﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[5]،وقوله تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾[6]

وتقييد المنزَّل بكونه "على محمد، ﷺ" يُخرج ما أُنْزِلَ على الأنبياء قبله كالتوراة والإنجيل وغيرهما.و"المتعبد بتلاوته" يُخرج قراءات الآحاد، والأحاديث القدسية –إن قلنا إنها منزَّلة من عند الله بألفاظها– لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة، وليست قراءة الآحاد والأحاديث القدسية كذلك[7].

---

[1].[سورة طه الآية : 4].

[2] . [البقرة: 185].

[3].[البقرة: 2].

[4].[الإسراء: 9].

[5] [سورة الكهف الآية: 109].

[6] . [لقمان: 27].

[7].(مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: 17) (المتوفى: 1420هـ)،ن/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع،ط/3، 1421هـ-2000م.

المطلب الثالث

صُورَ التَّشْهِيرِ

وهي كثيرة ومتنوعة على حسب الجرم الذي يستحق صاحبه التشهير به أو الوصف المنفر عنه زجرا ألّا يمس فمن هذه الصور:

1.إذا كان الشاهد من الذين يبيعون ويشترون في السوق ففي وقت زيادة ازدحام السوق يرفق الشاهد بمناد ينادي عليه إننا قد وجدنا هذا الشاهد شاهد زور فاتقوا شره وأوصوا الناس بأن يتقوا شره.

2. وإذا كان ليس من أرباب السوق فيرسل على هذه الصورة إلى محلته أو قومه في وقت اجتماعهم وينادي عليه على تلك الصورة)[1].

3.وقد يشهر به في وسائل الإعلام بجميع أنواعها،وتسمى جنايته سواءا كانت بإقامة حد عليه في زنا ، أوقذف، أو ملاعنة،أو إفساد في الأرض، أو إقامة حد القصاص ،أو إقامة حد الردة .

4.أوالتعزير المعنوي والحسي بما يراه الحاكم .

5. بيان المخازي التي وقع عليها ،والأخطاء التي مارسها.

6.أوالتحذير من الفاسدين وعقائدهم الباطلة،أو التشنيع على الخلق السيئ وذلك من أصناف الكافرين،والمشركين والمنافقين وفضحهم حتى يكون منهم الناس على بينة،ويكونوا عبرة لمن يعتبر،ويصلح الله بذلك الإعوجاج.

---

[1] . درر الحكام في شرح مجلة الأحكام – (12 / 273،272). علي حيدر خواجه أمين أفندي (المتوفى : 1353هـ) تعريب/فهمي الحسيني.

المبحث الثاني

الألفاظ ذات الصلة بالتشهير

وفيه تسعة مطالب

المطلب الأول

في معنى الفضيحة

الفضيحة:كلمة أصلها الحاء والضاد والفاء وتدل على كشف المخبوء من العيوب والعورات ومساوئ الأخلاق.

الفَضْحُ: من الفاضِحِ والمَفْضُوْحِ. والاسْمُ: الفَضِيْحَةُ، والجَميعُ: الفَضَائحُ. والفَضُوْحُ: المُفْتَضِحُ، وجَمْعُه: فَضَائحُ أيضاً. وهذا يَوْمُ فِضَاحٍ وفُضُوْحٍ: أي فَضِيْحَةٍ. وهو فَضِيْحٌ في المالِ: أي سَيِّءُ القِيَامِ عليه. والصُّبْحُ الفَضَحُ: الذي تَعْلُوه حُمْرَةٌ. والأفْضَحُ: الأبْيَضُ لَيْسَ بشَديدِ البَيَاضِ[1].

فَضَحَهُ، فافْتَضَحَ، إذا كشف مَساوِيَه. والاسم الفَضيحةُ والفُضوحُ. وفَضَّحَ الصبحُ وأفْضَحَ، إذا بدا[2].

ويقال افْتَضَحَ الرجلُ يَفْتَضِحُ افْتِضاحاً إذا ركب أَمراً سَيّئاً فاشتهر به[3]

وفي التنزيل قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ﴿٦٨﴾ ﴾[4]،والفَضْحُ والفَضيْحَةُ البيان والظهور، ومنه فَضَحَه الصُّبْحُ، كما قال الشاعر:

ولاحَ ضوءُ هِلالِ الليل يَفْضَحُنا ... مثلَ القُلامَةِ قد قُصَّتْ من الظُفُرِ

---

[1]. المحيط في اللغة – (1 / 189) للصاحب أبي القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني،دار/ن /عالم الكتب– بيروت/ لبنان – 1414هـ –1994 م ط/1، ت/ الشيخ محمد حسن آل ياسين.

[2]. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (1/ 392) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)،ت/ أحمد عبد الغفور عطار،ن/ دار العلم للملايين – بيروت،ط/4، 1407 هـ – 1987 م.

[3]. لسان العرب (5/ 3425) لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)،ن/ دار صادر – بيروت،ط/3 – 1414 هـ.،أنظر مادة:فضح.،ن/ دار المعارف - القاهرة.

[4] (.سورة الحجر الآية 68)

إلا أنَّ الفضيحةَ اختصَّتْ بما هو عارٌ على الإنسانِ عند ظهورِه[1].ولذا فإن المحصلة من التعريف أنّ :(الفضيحة اسم لكل أمرٍ سَيِّءٍ يَشْهَرُ صاحبه بما يسوء ، ويقال : افتُضِحَ الرجل افتضاحاً ،إذا ركب أمراً سيئاً فاشتُهِرَ به)[2].

المطلب الثاني

في معنى الإشاعة

إشاعة الخبر: إيصاله إلى سمع كل الناس..وانتشار كلام لا أصل له[3].فهو شائعٌ : ذاعَ وفَشا وظَهَرَ وانْتَشَرَ وقولُهم : هذا خَبَرُ شائعٌ وقد شاع في النَّاسِ معناه : قد اتَّصَلَ بكُلِّ أَحَدٍ فاستوى عِلْمُ النّاس به ولم يكن علمُه عند بعضِهِم دونَ بعضٍ ...[4]. وقد ذكرت كلمة الإشاعة في القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ ﴿١٩﴾ ﴾[5] الآية.والإشاعة هي ما أشار إليها الحديث الشريف؛وذمها بقوله ﷺ:(بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا)[6]، وذلك من غير تأكد ولا سند ولا خطام ولا زمام؛ حتى تبلغ الآفاق، ويتداولها الناس على أساس أنها حقيقة وهي عارية من الصحة.وذلك كما جاء في الحديث عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال:(قال ﷺ رأيت رجلين أتياني قالا الذي رأيته

---

[1] . الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (7/ 173)لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)،ت/ الدكتور أحمد محمد الخراط،ن/ دار القلم، دمشق.

[2] . تهذيب اللغة(4/ 128) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي،أبو منصور (المتوفى:370هـ)،مرجع سابق.

[3]. معجم لغة الفقهاء (ص: 68)د.لمحمد قلعجي، ،دار النفائس.

[4].تاج العروس من جواهر القاموس (ج5355/1)، مادة (شوع./ لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى(1145 – 1205 هـ = 1732 – 1790 م) علّامة باللغة والحديث والرجال والأنساب /انظر الأعلام للزركلي (7/ 70)، طبقات النسابين (ص: 181)، لبكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: 1429هـ)،ن/ دار الرشد، الرياض،ط/1، 1407 هـ – 1987 م

[5] (سورة النور ، الآية 19).

[6] سنن أبي داود – كِتَاب الْأَدَبِ ، بَاب فِي قَوْلِ الرَّجُلِ زَعَمُوا، (ج 13 / ص 148)للإمام أبي داود السجستاني، ت/ شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي،ن/ دار الرسالة العالمية،ط/1، 1430 هـ – 2009 م..ومسند أحمد – (ج 34 / ص 444)،حديث رقم (16458) مسند أبي مسعود الأنصاري.

يشق شدقه فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة)[1] كما ورد في سياق حديث طويل أريه النبي ﷺ.

المطلب الثالث

في معنى النميمة

كلمة النميمة قريبة في معناها من التشهير ففي اللسان:(نمم)النَّمُّ التوريشُ والإغْراءُ ورَفْع الحديثِ على وجه الإشاعةِ والإفْسادِ وقيل تَزْيينُ الكلام بالكذب[2].والنمامُ يشي الكذب، أي: يُؤلفه، وقد وشى فلانٌ بفلانٍ وشايةً، أي:نمَّ به[3].وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ قَالَ:(أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ وَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا)[4]، وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه ، سواء كره المنقول عنه أو المنقول إليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الإيماء أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال ، وسواء كان عيباً أو غيره فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه[5].

---

[1]. الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺوسننه وأيامه (5 / 2262)للإمام البخاري(256)،كتاب الأدب ،باب قول الله تعالى:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾) [التوبة: 119] وما ينهى عن الكذب،حديث رقم(6096).

[2] لسان العرب ،- (ج 12 / ص 592) لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)،ن/ دار صادر – بيروت،ط/3 – 1414 هـ.

[3] .كتاب العين – (ج 2 / ص 14) لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)،ت/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،ن/ دار ومكتبة الهلال.

[4] .المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ – كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ، (ج 13 / ص 12)للإمام مسلم (المتوفى: 261هـ)،ت/ عبد الباقي،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

[5]. الكبائر للذهبي– (ج 1/ ص 60) لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)،الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.

المطلب الرابع

في معنى التسميع

حيث يأتي التسميع بمعنى نشر الخبر بين الناس، لفضح أمرهم، والتنكيل بهم،و سَمَّع بالرجل: أذاع عنه عيبا، فأسمَعَ الناس إياه. وفي الحديث:(مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ)[1] قوله:(من سمع) بتَشْديد الْمِيم من التسميع وَهُوَ التشهير وَإِزَالَة الخمول بنشر الذّكر، وَقَالَ الْخطابِيّ: أَي عمل عملا على غير إخلاص، وَإِنَّمَا يُرِيد أَن يرَاهُ النَّاس ويسمعوه جوزي على ذَلِك بِأَن يشهره الله تَعَالَى ويفضحه وَيظْهر مَا كَانَ يبطنه)[2]قال أبو عبيد: قال أبو زيد: يقال سمَّعْت بالرجل تسميعاً إذا ندَّدت به وشهرَّته وفضحته. قال: ومن روى سامع خلقه فهو مرفوع أراد: سَمَّع الله سامع خلقه به أي فضحه[3]،قال الأَزهري ومن التَّسْمِيعِ بمعنى الشتم وإِسماع القبيح قوله ﷺمَنْ سَمَّعَ بِعَبْدٍ سَمَّعَ الله به وقال: أَبو زيد شَتَّرْتُ به تَشْتِيراً ونَدَّدْتُ به وسَمَّعْتُ به وهَجَّلْتُ به إِذا أَسْمَعْتَه القبيحَ وشَتَمْتَه والتَّسْميع :التَّشْنيعُ والتَّشْهير[4] ومنه الحديث: (من يسمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه يوم القيامة وحقره وصغره)[5].

---

[1] الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺوسننه وأيامه ، كتاب الرقاق ، باب الرياء والسمعة/حديث رقم 6018 - (ج 20 / ص 153).

[2].عمدة القاري شرح صحيح البخاري (23/ 86) لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، ، (كتاب الرقاق)، (باب الرياء والسمعة)حديث رقم: (9446)، ،ن/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

[3]. تهذيب اللغة - (ج 1 / ص 193) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،مرجع سابق.

[4].تاج العروس -(ج 1/ ص5325) لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ،مرجع سابق.

[5].مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار - (ج 8 / ص 267)للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ابراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة الكوفي العبسي المتوفي سنة 235 هـ،ط/ مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

المطلب الخامس

في معنى النعي

ونعى فلانا نعيا ونعيّا أذاع خبر موته ويقال نعاه لنا ونعاه إلينا أخبرنا بموته. وهو ينعى على فلان كذا يعيبه عليه ويشهر به. وفلان ينعى على نفسه بالفواحش يشهر نفسه بتعاطيها[1].ويقال: فلان ينعى على نفسه بالفواحش إذا شهر نفسه بتعاطيه الفواحش . وكان امرؤ القيس[2] من الشعراء الذين نَعَوا على أنفسهم بالفواحش، وأظهروا التعهّر. وكان الفرزدق[3] فَعُولا لذلك . ونعى فلان على فلان أمرا إذا أشاد به وأذاعه[4]. ومن المجاز: نعى عليه هفواته إذا شهّره بها[5].

---

[1]. المعجم الوسيط – (2 / 936). لإبراهيم مصطفى . وآخرون،ن/ دار الدعوة،ت/ مجمع اللغة العربية.

[2]. امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، ويعرف بالملك الضليل، وذي القروح، لما أصابه في مرض موته، وكان أبوه ملك أسد وغطفان، وأمه أخت المهلهل الشاعر، توفي نحو سنة 80 ق. هـ. (الأعلام للزركلي 11/2، 12،) والأغاني 77/9)لأبي الفرج الأصفهاني، راجع (خزانة الأدب وغاية الأرب: 299) لابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: 837هـ) ت/ عصام شقيو،ن/ دار ومكتبة الهلال–بيروت، دار البحار – بيروت،ط/ 2004م،25– (الفقرة 443)، ومعجم المؤلفين (2/ 320) عمر كحالة الدمشقي (المتوفى: 1408هـ).

[3]. والفرزدق واسْمه همام بن غَالب بن صعصة بن نَاجِية بن عقال بن مُحَمَّد بن سُفْيَان بن مجاشع.انظر طبقات فحول الشعراء (2/ 298)لمحمد بن سلّام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: 232هـ)،ت/ محمود محمد شاكر،ن/ دار المدني ـ جدة.

[4].تهذيب اللغة(ج1 / ص 384) محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)،مرجع سابق.

[5].أساس البلاغة (ج 1 / ص 481) لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله. كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبير الفضل متفننًا في علوم شتى. ولد بزمخشر من ضواحي خوارزم، وتوفي بقصبة خوارزم ليلة عرفة،(467– 538هـ،1074– 1143م)،وكان معتزلي المذهب.

المطلب السادس

في معنى المساييح، المذاييع، البذر

ففي شعب الإيمان للبيهقي من حديث علي ﷺ، وذكر آخر الزمان والفتن ، قال : (خير أهل ذلك الزمان كان نومه ،أولئك مصابيح الهدى ليس بالمساييح و لا المذاييع البذر. ويروى ذلك عن عوف بن أبي جميلة). وقوله نومه يعني الخامل الذكر الغامض في الناس الذي لا يعرف الشر و لا أهله و أما المذاييع فإن واحدهم مذياع و هو الذي إذا سمع عن واحد بفاحشة أو رآها منه أفشاها عليه و أذاعها والمساييح: الذين يسيحون في الأرض بالشر و النميمة و الإفساد بين الناس و البذر: أيضا نحو ذلك و هو مأخوذ من البذر يقال : بذرت الحب و غيره إذا فرغت في الأرض فكذلك هذا يبذر الكلام بالنميمة و الفساد و الواحد منهم بذور »[1] فيظهر من هذا أنّ المذاييع: واحدهم مذياع ، وهو الذي إذا سمع عن واحد بفاحشة ، أو رآها منه أفشاها عليه وأذاعها ،ومنه قوله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ﴾[2] الآية.والمساييح:الذين يسيحون في الأرض بالشر ، والنميمة ، والإفساد بين الناس ، المساييح المذاييع: واحدهما مفعال؛ أي الذين يسيحون بالنميمة والشر و يذيعون الأسرار[3].والْبُذْر: وهو مأخوذ من الْبَذْر ، يقال:بذرت الحب وغيره إذا فرّغت في الأرض

---

[1]. شعب الإيمان (12/ 168)، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)،

حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه/الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد،أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند،ن/ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند،ط/1، 1423 هـ – 2003 م، وانظر سنن الدارمي – (1 / 93)باب ما أكرم النبي ﷺ من كلام الموتى،لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ)،ن/ دار الكتاب العربي – بيروت،ط/1، 1407،ت/ فواز أحمد زمرلي،خالد السبع العلمي.

[2].سورة النساء (83) .

[3].الفائق في غريب الحديث و الأثر – (ج 1 / ص 465)،.بتصرف يسير، تأليف/محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري، أبو القاسم ،من أهل خوارزم، وزمخشر إحدى قراها. كان إماما في النحو واللغة، تشدّ إليه الرحال، وله في ذلك مصنفات. وكان فصيحا بليغا علّامة،انظر تاريخ بغداد وذيوله (21/ 172) دار الكتب العلمية – بيروت،ت/ مصطفى عبد القادر عطا،ط/1، 1417 هـ. والوجيز في ذكر المجاز والمجيز (ص:

فكذلك هذا يبذر الكلام بالنميمة والفساد ،والواحد منهم بذور »[1]،والبذور: جمع بذر، وهو الذي يبذر الأحاديث والنمائم ويفرقها في الناس[2].

المطلب السابع

في معنى الإرجاف

فرَجَفَ الشيءُ يرجُف رُجوفاً ورَجَفاناً، إذا اضطرب اضطراباً شديداً. وإنما قيل: أرجفَ الناسُ بكذا وكذا، إذا خاضوا فيه واضطربوا[3].وأرْجَف القوم – خاضوا في الفِتنة والأخبار السيئة[4].قال الله تعالى:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5] ،وهم الذين يُوَلِّدُونَ الأَخبارَ الكاذبةَ التي يكون معها اضطرابٌ في الناس[6] قال ابن عباس:الإرجاف التماس الفتنة، والإرجاف:إشاعة الكذب والباطل للاغتمام[7]. وورد في تفسير قول الله تعالى:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ

---

135). لصدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سِلَفَه الأصبهاني (المتوفى: 576هـ)،ت/ محمد خير البقاعي،،ن/ دار الغرب الإسلامي – بيروت ،ط/1، 1411 – 1991م.

[1]. شعب الإيمان (12/ 168)المرجع السابق.

[2].الفائق في غريب الحديث و الأثر – (ج 1 / ص 465) المرجع السابق،للزمخشري.

[3]. جمهرة اللغة – (ج 1 / ص 227) لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ولد سنة 223 وتوفي سنة 321 هـ).

[4].المخصص – (ج 3 / ص 17) لأبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده،ن/ دار إحياء التراث العربي – بيروت – 1417هـ 1996م،ط/1،ت/ خليل إبراهم جفال،وانظر العباب الزاخر – (ج 1 / ص 414).

[5] . (سورة الأحزاب الآية60).

[6]. لسان العرب – (ج 9 / ص 112) لمحمد بن مكرم بن منظور (المتوفى: 711هـ ،مرجع سابق.

[7]. جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن – ((14/ 245) /لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671 هـ)،انظر لترجمته:السفر الخامس من كتاب الذيل (2/ 585)، وطبقات المفسرين للأدنوي (ص: 247)، ومعجم المؤلفين (8/ 239) وطبقات المفسرين للداوودي (2/ 69)، والديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (2/ 308)، تاريخ الإسلام للذهبي(15/ 229)،قيل عنه:مصنف التفسير المشهور، الذي سارت به الركبان.،كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجّه وعبادة وتصنيف، ،قَالَ الذَّهَبِيّ إِمَام متفنن متبحر فِي الْعلم لَهُ تصانيف مفيدة تدل على إِمَامَته وَكَثْرَة اطِّلَاعه ووفور فَضله،.. وكان من أهل العلم بالحديث والاعتناء التام بروايته.

ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾[1] الآية،أنّ من أعمال المنافقين الفاسدة ،أنه إذا جاءهم الخبر بأمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر من باب الأمن أو من باب الخوف أذاعوه وأفشوه ، وكان ذلك سبب لضرر من وجوه

الأول:أن مثل هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب الكثير .

والثاني: أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن زادوا فيه زيادات كثيرة ، وذلك بغية أن يتولد عن تلك الزيادات شبهة للضعفاء في صدق الرسول ﷺ، لأن المنافقين كانوا يروون تلك الإرجافات عن الرسول وإن كان ذلك في جانب الخوف تشوش الأمر بسببه على ضعفاء المسلمين ،ووقعوا عنده في الحيرة والاضطراب ، فكانت تلك الإرجافات سببا للفتنة من هذا الوجه .

الوجه الثالث: وهو أن الإرجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام ، وذلك سبب لظهور الأسرار... وإن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك ، وزادوا فيه وألقوا الرعب في قلوب الضعفة والمساكين ،فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشأ للفتن والآفات من كل الوجوه ، ولما كان الأمر كذلك ذم الله تلك الإذاعة وذلك التشهير ، ومنعهم منه[2] .

---

[1]. النساء الآية 83.

[2]. مفاتيح الغيب (5 / 302) بتصرف./ ن/ دار الكتب العلمية – بيروت – 1421هـ – 2000 م،ط/1، المؤلف/ محمد بن عمر بن الحسين الرازي أبو المعالي المعروف بابن خطيب الري فخر الدين كَانَ من أفاضل أهل زمانه القدماء فِي الفقه وعلم الأصول والكلام والحكمة ولد (543هـ ، وتوفي606هـ) ومن تصانيفه كتاب تفسير القرآن الكبير سماه مفاتيح الغيب سوى تفسير الفاتحة وأفرد لَهَا تصنيفاً اثني عشر مجلداً بخطه الدقيق،وكتاب تفسير القرآن الصغير سماه أسرار التنزيل وأنوار التأويل. وكتاب نهاية العقول. وكتاب المحصول فِي علم الأصول. وكتاب المحصل. كتاب الملخص فِي الحكمة وقيل إنه ندم على دخوله في علم الكلام، قال ابن الصلاح أخبرني القطب الطوغاني مرتين أنه سمع فخر الدين الرازي يقول يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام وبكى وروي عنه أنه قال لقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أجدها تروي غليلا ولا تشفي عليلا ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن أقرأ في التنزيه) (والله الغني وأنتم الفقراء)وقوله: (ليس كمثله شيء (و) قل هو الله أحد (وأقرأ في الإثبات) (الرحمن على العرش استوى)وقوله:(يخافون ربهم من فوقهم) وقوله: (إليه يصعد الكلم الطيب (وأقرأ قوله:(قل كل من عند الله) لتعلم أنّ الكل من الله) . (ثم قال مخاطبا ربه: وأقول من صميم القلب من داخل الروح إني مقر بأن كل ما هو الأكمل الأفضل الأعظم الأجل فهو لك وكل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه. . انظر

قيل: إن هذه الآية في المنافقين، وهم الذين كانوا يذيعون بمسائل الأمن والخوف ونحوها مما ينبغي أن يترك لأهله، وقيل: هم ضعفاء المؤمنين، وهما قولان فيمن سبق الحديث عنهم في الآيات التي قبلها، وصرح ابن جرير بأنها في الطائفة التي كانت تبيت غير ما يقول لها الرسول أو تقول له، أقول: ويجوز أن يكون الكلام في جمهور المسلمين من غير تعيين لعموم العبرة، ومن خبر أحوال الناس يعلم أن الإذاعة بمثل أحوال الأمن والخوف لا تكون من دأب المنافقين خاصة، بل هي مما يلغط به أكثر الناس، وإنما تختلف النيات، فالمنافق قد يذيع ما يذيعه لأجل الضرر، وضعيف الإيمان قد يذيع ما يرى فيه الشبهة، استشفاء مما في صدره من الحكة، وأما غيرهما من عامة الناس فكثيرا ما يولعون بهذه الأمور لمحض الرغبة في ابتلاء أخبارها، وكشف أسرارها، أو لما عساه ينالهم منها.فخوض العامة في السياسة وأمور الحرب والسلم، والأمن والخوف ، أمر معتاد وهو ضار جدا إذا شغلوا به عن عملهم، ويكون ضرره أشد إذا وقفوا على أسرار ذلك وأذاعوا به ، وهم لا يستطيعون كتمان ما يعلمون ، ولا يعرفون كنه ضرر ما يقولون، وأضره علم جواسيس العدو بأسرار أمتهم، وما يكون وراء ذلك ،ومثل أمر الخوف والأمن وسائر الأمور السياسية والشئون العامة، التي تختص بالخاصة دون العامة[1].

طبقات الشافعية (2/ 66)لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبةن/ عالم الكتب ، بيروت ، 1407 هـ،ط/1،،ت/ د.الحافظ عبد العليم خان ،/وأخبار العلماء بأخيار الحكماء (ص: 220) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)،ت/ إبراهيم شمس الدين،ن/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط/1، 1426 هـ – 2005 م،وطبقات المفسرين للأدنه وي (ص: 214)مرجع سابق، لسان الميزان (429/4) لابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)،ت/ دائرة المعرف النظامية – الهند،ن/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان،ط/2، 1390هـ /1971م.

[1]. تفسير المنار (1/ 284)، ن/ الهيئة المصرية العامة للكتاب1990 م،تأليف/ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة. ولما أعلن الدستور العثماني (سنة 1326 هـ زار بلاد الشام، واعترضه في دمشق، وهو يخطب على منبر الجامع الأموي، أحد أعداء الإصلاح، فكانت فتنة، عاد على أثرها إلى مصر. وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم

والرابط لمعنى التشهير والإرجاف أن كلا منهما فيه التفريق بين الناس وإيجاد حالة البلبلة وعدم الانسجام بين نسيج المجتمعات والأفراد.

المطلب الثامن

في معنى النكال

ونكّلت به أي:جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله، وهو النّكال[1].والنَّكالُ: اسم لما جعلته نَكالاً لغيره، إذا بلغه أو رآه خاف أن يعمل عمله[2].ونَكَّلَ به تَنْكيلاً صَنَعَ به صَنيعاً يُحَذِّرُ غيرَه[3].قال الله تعلى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[4].قال الزجاج :أَي:جعلنا هذه الفَعلة عِبرةً يَنْكُل أَن يفعل مثلَها فاعلٌ فَينالَه مثل الذي نال اليهود المُعْتَدِين في السَّبْت وفي حديث وِصالِ الصوم (لو تأَخَّر لزدْتُكُم) كالتَّنْكِيل لهم أَي عُقوبة لهم، ونَكَل بفلان إِذا صنع به صَنِيعاً يحذَر غيره منه إِذا رآه[5]،وقد نَكَّل به تَنْكيلا ونَكَل به إِذا جعله عِبْرةً لغيره .والنَّكَال:العقوبة التي تَنْكُل الناسَ عن فِعل ما جُعِلَت له جَزاءً[6].وجاء في محكم التنزيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ

قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيسا للمؤتمر السوري، فيها. وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها (سنة 1920 م) فأقام في وطنه الثاني (مصر) مدة.ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا. وعاد، فاستقر بمصر إلى أن توفي فجأة في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلدا، و (تفسير القرآن الكريم – ط) اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله، وغيرها. من مصادر الترجمة:1.إبراهيم العدوي–رشيد رضا الإمام المجاهد)ضمن(سلسلة أعلام العرب)الدار المصرية للتأليف والترجمة – القاهرة بدون تأريخ. 2.أنور الجندي أعلام وأصحاب أقلام، دار النهضة – مصر–القاهر ، بدون تأريخ.(منقول من شبكة الألوكة الفكرية الثقافية الشاملة).والأعلام للزركلي (6/ 126) مرجع سابق.،ومعجم المؤلفين (9/ 310) عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ) ، مرجع سابق.

[1] : أساس البلاغة – (ج 1 / ص 490) لأبي القاسم محمود الزمخشري جار الله ،مرجع سابق.

[2] كتاب العين – (ج 1 / ص 443) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)،ت/ د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي،الناشر/دار ومكتبة الهلال.

[3] القاموس المحيط (ج 3 / ص175) للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادىّ(729– 817 هـ) مرجع سابق.

[4] .سورة البقرة الآية (66).

[5] لسان العرب – (ج 11 / ص 677) لمحمد بن مكرم بن منظور (المتوفى: 711هـ) مرجع سابق.

[6] النهاية في غريب الأثر – (ج 5 / ص 245)لابن الأثير، مرجع سابق.

يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[1]، فقوله﴿ فَشَرِّدْ بِهِم ﴾ معناه طرد وخوف وأبعده عن مثل فعلهم ، والشريد المبعد عن وطن أو نحوه ، والمعنى بفعل تفعله بهم من قتل أو نحوه يكون تخويفاً لمن خلفهم أي لمن يأتي بعدهم بمثل ما أتوا به ، وسواء كان معاصراً لهم أم لا ، وما تقدم الشيء فهو بين يديه وما تأخر عنه فهو خلفه ، فمعنى الآية فإن أسرت هؤلاء الناقضين في حربك لهم فافعل بهم من النقمة ما يكون تشريداً لمن يأتي خلفهم في مثل طريقتهم ، والضمير في ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾ عائد على الفرقة المشردة ، وقال ابن عباس:المعنى نكل بهم من خلفهم [2]فالتشهير والنكال يلتقيان في المقصود منهما وهو أخذ العبرة والعظة للشاهد والغائب.

المطلب التاسع

وهو في معنى الخزي

والخزي هو:الهوان بالوقوع المذل في البلية والشر والشهرة وهو إظهار القبائح التي يستحى من إظهارها عقوبة قاله الحرالي وقال غيره هو أن يفضح صاحبه وهو وضع من القدر للغم الذي يلحق به وأصله التغيير وقال بعضهم الذل والهوان والانكسار[3].

والخزي: من الخزاية وهي النكال والفضيحة[4].ويقال للرجل:زْيانٌ، وللمرأة :خَزْيا .وهو:الذي عَمِل أمراً قبيحاً، فاشتدَّ لذلك حياؤه وخَزَايَتُهُ .والجمع:خَزَايا.والمُخْزَى في اللغة : المُذَلُّ

---

[1].(سورة الأنفال 57).

[2].المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز تفسير (2/ 542) / أبي محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن ابن تمام بن عطية المحاربي الغرناطي المالكي الأندلسي،كان عارفا بالأحكام، والحديث ،والتفسير وله شعر ،ولي قضاء مرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، ولد بغرناطة وتوفي بلورقة ا(481هـ سنة 541هـ)ومن أبرز مؤلفاته/الفهرس والمحرر الوجير،ت/عبد السلام عبد الشافي محمد،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1 – 1422 هـ.،انظر.كتاب الأعلام للزركلي،وانظر بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (ص: 389) أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: 599هـ)،ن/ دار الكاتب العربي – القاهرة،عام/ ن، 1967 م . والمعين في طبقات المحدثين (ص: 160)للإمام الذهبي (المتوفى: 748هـ)،ت/ د.همام عبد الرحيم سعيد،ن/ دار الفرقان – عمان – الأردن ،ط/1، 1404.

[3] (التوقيف على مهمات التعاريف (ص: 313).) لمحمد عبد الرؤوف المناوي،ن/دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت ، دمشق ط/1، 1410ت/د. محمد رضوان الداي.، وانظر تاج العروس (ص: 8367) لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي ،مرجع سابق.

[4]. كتاب الكليات . لأبى البقاء الكفومى (ص: 677).فصل الخاء. ت/ عدنان درويش – محمد المصري ،ن/ مؤسسة الرسالة – بيروت – 1419هـ – 1998م.

المَحْقُورُ بأَمْرٍ قد لزمه بحُجَّة .والخزي يكون في الدنيا ، ويكون في الآخرة ؛ كما جاء في الكتاب العزيز ،وقد يأتي ذكره في الدنيا، ويقابله في الآخرة العذاب العظيم والأشد والأكبر والأخزى.[1]،ولوسأل سائل ما الفرق بين الذل والخزي قلنا:(أن الخزي ذل مع افتضاح وقيل هو الانقماع لقبح الفعل، والخزاية الاستحياء، لانه إنقماع عن الشئ لما فيه من العيب)[2].وفي اللسان[3]:(أَخْزَيْته أَي فضحته ومنه قوله تعالى حكاية عن لوط لقومه:﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴾[4].أَي لا تَفْضَحُونِ. وقوله: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5] والخِزْيُ الفَضِيحةُ وقد خَزِيَ يَخْزَى خِزْياً إذا افْتَضَح وتَحيَّر فضيحةً ومن كلامهم للرجل إذا أَتَى بما لا يُسْتَحْسَن ما لَه أَخزاهُ اللهُ وربما قالوا أَخْزاهُ الله من غير أَن يقولوا ما لَه)[6]. وعن ابن عباس إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من القوم؟ – أو من الوفد؟ –» قالوا: ربيعة. قال: «مرحبا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى» [7].

المبحث الثالث

مسائل هامة بين يدي الموضوع

---

[1] . لسان العرب (14/ 226)، لمحمد بن مكرم بن منظور المتوفى (711هـ)، وتاج العروس (ص: 8367)، لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي.

[2] معجم الفروق اللغوية (ص: 215)لأبي هلال (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحى بن مهران العسكري)مرجع سابق.

[3] . لسان العرب (14/ 226).ن/ دار صادر – بيروت– ط/1،لابن منظور.

[4] .(سورة هود الآية (78).

[5] .(سورة المائدة الآية:33).

[6] . لسان العرب (14/ 226).ن/ دار صادر – بيروت– ط/1،لابن منظور.

[7] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (1/ 20) كتاب الإيمان،باب: أداء الخمس من الإيمان،حديث رقم(53)، للإمام أبي عبدالله البخاري ، مرجع سابق ،وانظر/المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(1/ 47) كتاب الإيمان،باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، حديث رقم (24)،للإمام/ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)،مرجع سابق

المطلب الأول

تكريم الإسلام للإنسان.

لقد كرم الله الإنسان على جميع المخلوقات وهيأ له سبل الحياة الكريمة وهنا يحسن بنا أن نذكر بعض القواعد المهمة حتى لا يظن ظانّ أنّها مهملة في شرعنا الحنيف،وذلك في سياق الحديث عن عقوبة التشهير.فحق الأمن في الحياة الخاصة والعامة: وعدم التعدي والتشهي عليه ظلما وعدوانا مكفولة للعبد، ومما يؤكد هذا قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ [1] وللتكريم صور عديدة منها:

أولاً:أن الله خلقنا فأحسن خلقنا كما قال:﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴿٦٤﴾ ﴾[2] الآية. وميزنا بالعلم والعقل،يقول الإمام بن كثير رحمه الله: (يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم، وتكريمه إياهم، في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها كما قال ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[3]، أي: يمشي قائمًا منتصبًا على رجليه، ويأكل بيديه – وغيره من الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفمه – وجعل له سمعًا وبصرًا وفؤادًا، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية)[4].

---

[1]. (سورة الإسراء الآية: 70).

[2] (سورة غافر الآية 64).

[3] (سورة التين الآية:4).

[4].تفسير القرآن العظيم ج97/5. سامي بن محمد سلامة،ن/ دار طيبة للنشر والتوزيع،ط/2، 1420هـ – 1999 م. المؤلف/عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عُمَر بن كثير القرشي الدمشقي(المتوفى: 774هـ) العلامة الحافظ المحدث صهر الشيخ أبي الحجاج المزي وترجمته مشهورة، وتصانيفه معروفة مذكورة.له:"التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل.جمع فيه بين "تهذيب الكمال"للمزي، و"ميزان الاعتدال"لشيخه الذهبي، مع زيادات وتحرير عليهما في الجرح والتعديل.قال عنه الإمام الذهبي:الفقيه المفتي المحدث ذي الفضائل وله عناية بالرجال، والمتون، والتفقه، خرج وألف وناظر وصنف وفسر وتقدم.انظر سير أعلام النبلاء ط الحديث(1/ 27)مرجع سابق، و تهذيب الكمال في أسماء الرجال (1/ 64) للمزي (المتوفى: 742هـ).

ثانياً : نهى الله من التعرض له بأذى بأي نوع كان في مثل ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1] ويقول:﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ ﴾الآية[2] وقوله:﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ﴾[3]، و(هَمَّازٍ): عياب طعان قال أبو حيان هو من الهمز وأصله في اللغة الضرب طعناً باليد أو بالعصا ونحوها ثم استعير للذي ينال بلسانه قال منذر بن سعيد وبعينه وإشارته (مَّشَّاء بِنَمِيمٍ): نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه الإفساد بينهم فإن النميم والنميمة مصدران بمعنى السعاية والإفساد وقيل النميمة جمع نميمة يريدون به الجنس واصل النميمة الهمس والحركة الخفيفة[4].وأيضا قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ ﴾[5] يقول سيد رحمه الله:(وهذا التشديد يشي بأنه كان في المدينة يوم ذاك فريق يتولى هذا الكيد للمؤمنين والمؤمنات،بنشر قالة السوء عنهم، وتدبير المؤامرات لهم،وإشاعة التهم ضدهم.وهو عام في كل زمان وفي كل مكان.والمؤمنون والمؤمنات عرضة لمثل هذا الكيد في كل بيئة من الأشرار المنحرفين ، والمنافقين،والذين في قلوبهم مرض.

---

[1].(سورة الحجرات الآية:11).

[2].(سورة القلم الآية:11).

[3].(سورة الهمزة الآية: 1).

[4] .(روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (ج 21 / ص 161) ت/ علي عبد الباري عطية،ن/ دار الكتب العلمية - بيروت ط/1، 1415 هـ. تأليف/شهاب الدين أبو الثناء محمود بن عبد الله الحسيني فقيه ومفسر ومحدث، أديب، لغوي، نحوي، مشارك في بعض العلوم ، من المجددين،.كان سلفي الاعتقاد، مجتهدا. تقلد الإفتاء ببلده سنة 1248 هـ وعزل، فانقطع للعلم. من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها(1217 – 1270 هـ = 1802 – 1854 م) ،وتلقى العلوم على شيوخ عصره، وكان شديد الحرص على التعلم ذكياً فطنًا، لا يكاد ينسى شيئًا سمعه، حتى صار إمام عصره بلا منازع. اشتغل بالتأليف والتدريس في سن مبكرة، فذاع صيته وكثر تلاميذه، تولى منصب الإفتاء وبقي فيه حتى سنة 1263هـ، له عدة كتب قيّمة، أبرزها تفسيره هذا الذي استغرق تأليفه خمس عشرة سنة،.توفي الألوسي في ذي القعدة في بغداد ودُفن فيها(عام: 1270هـ). /أنظر:الموسوعة العربية العالمية. والأعلام للزركلي (7/ 176)،ن/دار العلم للملايين،ط/15،- أيار / مايو 2002 م. ومعجم المؤلفين (12/ 175).

[5].(سورة الأحزاب الآية 58).

والله يتولى عنهم الرد على ذلك الكيد ،ويصم؟ أعداءهم بالإثم والبهتان.وهو أصدق القائلين).[1]وما يشير إليه صاحب الظلال من أنواع الأذية وقالة السوء التي تعرض لها المجتمع المسلم نجدها في كثير من زوايا حياتهم ومن أبرزها حادثة الإفك المشهورة التي آذى فيها ناشروها رسول الله في عرضه وأهله وأحب الناس إليه عائشة الصديقة بنت الصديق أحب الناس إليه من الرجال كما جاء في حديث أنس قال:(قيل يا رسول الله من أحب الناس إليك قال عائشة قيل من الرجال قال أبوها)[2].فكل هذه النصوص الكريمة تؤكد وتقوم على حماية المسلم وحفظ كرامته، ولو نظرنا في أحاديث المصطفى ﷺ نجد تأكيدا عظيما لهذا الأمر فمن ذلك ما جاء عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة،

---

[1] في ظلال القرآن (5/ 2880)، الناشر: دار الشروق – بيروت– القاهرة،ط/17، – 1412 هـ.المؤلف/ سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، في الفترة ما بين(1324 – 1385هـ، 1906 – 1966م)). وبها تلقى تعليمه الأوّلي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية (عبدالعزيز) بالقاهرة، ونال شهادتها والتحق بدار العلوم وتخرج عام 1352هـ، 1933م. عمل بوزارة المعارف بوظائف تربوية وإدارية، وابتعثته الوزارة إلى أمريكا لمدة عامين وعاد عام 1370هـ، 1950م. انضم إلى حزب الوفد المصري لسنوات وتركه على أثر خلاف عام 1361هـ، 1942م. وفي عام 1370هـ، 1950م انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه، وأعدم عام 1385هـ، 1966م. وفي المرحلة الأدبية ظهرت بواكير اهتماماته الإسلامية، فنشر مقالة التصوير الفني في القرآن في مجلة المقتطف (1939م) ثم ما لبث أن عاد إلى الفكرة ذاتها فاتسع بها وأصدر التصوير الفني في القرآن (1945م)؛ ومشاهد القيامة في القرآن (1947م) وهما دراسة جمالية بلاغية جديدة في الإعجاز البياني للقرآن.

وأما المرحلة الإسلامية، فقد جمعت بين العمل الإسلامي والكتابة الإسلامية وفيها نشر كتاب في ظلال القرآن (1951 – 1964م) في ثلاثين جزءًا، جمع فيه خلاصة ثقافاته الفكرية والأدبية وتأملاته القرآنية العميقة، وآرائه في واقع العالم الإسلامي خاصة، والأوضاع الإنسانية في العالم المعاصر. وكانت فكرة الظلال والقيم التعبيرية ركيزة هامة في هذا الكتاب. كذلك أصدر طائفة من الكتب الإسلامية ذات طابع خاص منها: العدالة الاجتماعية في الإسلام (1949م)؛ السلام العالمي والإسلام (1951م)؛ معالم في الطريق. وقد بلغت مؤلفاته حوالي ستة وعشرين كتابًا.

نقلا عن:الموسوعة العربية العالمية:http://www.mawsoah.net ، الأعلام للزركلي (3/ 147).

[2] سنن الترمذي (5/ 706) ت /شاكر ،مرجع سابق.

فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله»[1]. وموضع الاستدلال من الحديث عصمة الدماء والأموال إلا بحق الإسلام حدا أوتعزيرا كما جاء مفصلا في مواضعه. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى هاهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[2]،ففي هذا الحديث الشريف جملة من الأخلاق الفاضلة التي حث عليها الإسلام ومنها بوجه مجمل قوله: (حرام دمه، وماله، وعرضه)ونفهم من هذه التوجيهات الكريمة أن المسلم مصان في كل أمره في هذا الدين السماوي العظيم ولذا لا يجوز النيل منه في كل ما تقوم به شخصيته وكينونته إلاّ بحق الشرع.

وهنا يرد سؤال وهو أنّ الله تعالى كرم بني آدم ومع هذا وصف بعضهم بالأنعام ، والحمير ،والكلاب وكذلك جاء في الحديث تسمية الخوارج[3] بكلاب النار فكيف التوفيق بين هذه النصوص؟.والجواب أن الله كرم الإنسان بالعقل الذي هو مناط التكليف ،فإذا قام الإنسان بما أمره الله من تكاليف العبودية،وقام بما يصلح دنياه التي فيها معاشه ،ودينه الذي هو عصمة أمره،وآخرته التي إليها معاده،فإنّه حينئذٍ يكون معززا مكرما،ويكون في مقام تكريم الله له ،وتنطبق عليه نصوص التكريم مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ

---

[1] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (1/ 14) للإمام البخاري،كتاب الإيمان ،باب چ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥ ﴾ [سورة التوبة الآية : 5] مرجع سابق.

[2].المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (4/ 1986)للإمام مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ،باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله،مرجع سابق.

[3].كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان.ومن الفرق الأولى الوعيدية وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار.وأول أمير خرجت عليه الخوارج هو عثمان ﷺ،وكان الخروج عليه سياسيا في ظاهره،ثم تلا ذلك خروجا سياسيا ودينيا في زمن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من قبل جماعة ممن كان معه في حرب صفين، انظر/الملل والنحل (1/ 114) لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: 548هـ)،ن/ مؤسسة الحلبي.

وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[1].وإذا خالف المرء شرع الله فقد أهان نفسه وأذلها بمعصية الله، وعندئذ نقول ومن يهن الله فماله من مكرم،ويستحق الوصف الذي يليق به كالأنعام كما جاء في قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[2].وبالكلاب كما في قوله تعالى:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3] ،وبالحمير كما في قوله تعالى:﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾[4]،فمن عبد ربه كان من أصحاب المقام الأشرف الذي امتنّ الله به على بني آدم، كما أخبر في قوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٦﴾ ﴾[5] فمن آمن وعمل صالحا فله التكريم والمقام السامي،ومن أخلد إلى الأرض وطمر نفسه في حمأتها،رده الله إلى أسفل السافلين، قال الله تعالى:﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾[6].ولكن مع هذه الرعاية؟ والتكريم شرع الله لنا ما ينظم حياتنا حتى لا يبغي أحد على أحد وذلك أن من طبيعة الخلطاء البغي أحيانا كما قال الله تعالى:﴿ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ ﴿٢٤﴾ ﴾[7]الآية. كما أن الخطأ من طبيعة

---

[1].(سورة(الإسراء: 70).

[2].(سورة (الأعراف:الآية 179).

[3].(سورة (الأعراف:الآية 175 – 177).

[4].(سورة (الجمعة الآية: 5).

[5].(سورة (التين الآية : 4 – 6).

[6] . سورة (الشمس الآية: 7 – 10).

[7] (سورة (ص الآية 24).

البشر،كما أخبر النبي ﷺ:من حديث أنس قال : قال رسول الله ﷺ: (كل بني آدم خطاء وخير الخاطئين التوابون)[1]. ومن سنن الله الكونية أن جعل لنا قانون التدافع الذي بسببه يرتدع الباطل وأهله وهو مستفاد من قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾[2] ومن قوله﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3]،فهذه الأماكن على قداستها وشرفها عند الله إلاّ أن أهل البغي والعدوان لا يرغبون فيها وفي أهلها إلاّ، ولا ذمة ولذلك شرع الله الدفع عنها وعن كل القيم الجميلة في القرآن والسنة.

المطلب الثاني

مشروعية العقاب

إنّ معاقبة العصاة والمجرمين ومكافئة الصالحين والمصلحين منهج قرآني ومن يتصفح القرآن والسنة يجد ذلك جليّا واضحا ففي كتاب الله في عدم استواء المؤمن والكافر يقول الله تعالى:﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[4]،وقوله:﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ

---

[1]. سنن الترمذي (4/ 240) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ، 49 – باب،حديث رقم(2499).

،وسنن ابن ماجه (5/ 321) أبواب الزهد ،باب ذكر التوبة ،حديث رقم(4251)وهو لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)،مرجع سابق ،والمستدرك على الصحيحين (4/ 374) كتاب التوبة والإنابة ، حديث/كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون،رقم(7698) ، لأبي عبد الله الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: 405هـ)،ت/ أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي،ن/ دار الحرمين،القاهرة – مصر، 1417هـ – 1997 م.

[2].[سورة البقرة الآية 251].

[3].[سورة الحج الآية 40].

[4].[السجدة : 18 ،20].

جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]،وفي جانب القصاص يقول الله تعالى:﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾[2]،وقوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمُ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[3] وفي شأن المال وحمايته وصيانته من الأيادي الآثمة قال تعالى:﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[4]، وفي حماية العقل مما يزيله أو يشوش عليه ويمنعه من أداء وظائفه الدينية والدنيوية قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[5].وفي حماية المجتمع في حواضره وباديه من عصابات الإجرام والنهب والقتل والإفساد في الأرض قال الله عزّ وجلّ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾ ﴾[6]

---

[1].[سورة القلم : 34، 36]

[2]. [سورة المائدةالآية45]

[3] [سورة البقرة الآيتان 178-179] .

[4].[سورة المائدة الآيتان 38-39]

[5].[سورة المائدة الآيتان90-91].

[6].[المائدة : 32 – 34].

ومما يدل على مشروعية التنكيل بالعصاة والمخالفين لشرع الله قوله تعالى: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾[1]،و(عن مجاهد في قوله:"لا يحب الله الجهر بالسوء من القول" الآية، قال: ضاف رجل رجلا فلم يؤدِّ إليه حق ضيافته، فلما خرج أخبر الناس، فقال:"ضفتُ فلانًا فلم يؤدّ حق ضيافتي"! فذلك جهرٌ بالسوء إلا من ظلم، حين لم يؤدِّ إليه ضيافته.قال أبو جعفر بعدما ذكر في تفسير الآية أقوالا:والصواب في تأويل ذلك:لا يحب الله، أيها الناس،أن يجهر أحدٌ لأحد بالسوء من القول"إلا من ظلم"، بمعنى: إلا من ظلم، فلا حرج عليه أن يخبر بما أسيء عليه، وإذا كان ذلك معناه، دخل فيه إخبار من لم يُقْرَ،أو أسيء قراه، أو نيل بظلم، في نفسه أو ماله وغيرَه من سائر الناس. وكذلك دعاؤه على من ناله بظلم: أن ينصره الله عليه، لأن في دعائه عليه إعلامًا منه لمن سمع دعاءه عليه بالسوء له[2].وإن كان مجاهرا بالظلم دعي عليه جهرا، ولم يكن له عرض محترم ولا بدن محترم ولا مال محترم[3].

---

[1] .(سورة النساء الآيتان: 148 – 150).

[2] . جامع البيان في تفسير آي القرآن (9/ 347))،ت/ مكتب التحقيق بدار هجر،ن/ دار هجر،ط/1.والكتاب من تأليف/ أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب. إمام المفسرين. ، وبدأ في طلب العلم في السادسة عشرة من عمره، ثم رحل إلى بغداد واستقر فيها، بعد أن زار عدة بلدان.أثنى العلماء على الطبري كثيرًا، فقالوا: إنه ثقة عالم، أحد أئمة أهل السنة الكبار، يؤخذ بأقواله، ويُرجع إليه لسعة علمه، وسلامة منهجه، قال عنه الإمام الذهبي: الإِمَامُ العَلَمُ المجتهدُ، عَالِمُ العَصر، أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ البَدِيْعَة، مِنْ أَهْلِ آمُل طَبَرِسْتَان..أَكْثَرَ التَّرحَال، وَلقِي نُبَلاَء الرِّجَال، وَكَانَ مِنْ أَفرَاد الدَّهْر عِلْماً، وَذكَاءً، وَكَثْرَةَ تَصَانِيْف، قلَّ أَنْ تَرَى العُيُونُ مثلَه.ترك عدة مؤلفات نافعة أبرزها تفسيره الكبير جامع البيان عن تأويل آي القرآن وهو أول تفسير كامل وصل إلينا، أفاد منه كل من جاء بعده، ولهذا عدّ العلماء الطبري أبا للمفسرين، كما عدوه أبا للمؤرخين؛ وذلك لتأليفه كتابا كبيرًا في التاريخ لم يؤلَّف مثله، وسماه تاريخ الأمم والملوك، وله أيضًا: تهذيب الآثار وغير ذلك. ولد بطبرستان، وتوفي في بغداد (224–310هـ ، 839 – 923م) . انظر للترجمة: الموسوعة العربية العالمية،وانظر تاريخ دمشق (52/ 188) لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر:(المتوفى: 571هـ)، وانظر معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (6/ 2441)،وطبقات الفقهاء الشافعية (1/ 107) لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: 643هـ)،ت/محيي الدين علي نجيب،ن/ دار البشائر الإسلامية – بيروت،ط/1، 1992م.،وسير أعلام النبلاء (11/ 165)للإمام الذهبي (المتوفى: 748هـ) ،ن/ دار الحديث– القاهرة ،ط/ 1427هـ–2006م،وانظر تفسير القرآن العظيم (2/ 443) لابن كثير الدمشقي،مرجع سابق.

[3] . جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (6/ 2)للقرطبي،مرجع سابق.

وروي عمرو بن الشريد عن أبيه عن رسول الله ﷺقال: (لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ) قَالَ وَكِيعٌ عِرْضُهُ شِكَايَتُهُ وَعُقُوبَتُهُ حَبْسُهُ)[1].قال ابن المبارك[2]:يحل عرضه يغلظ له، وعقوبته يحبس. وفي الحديث: (مطل الغنى ظلم)[3].فالموسر المتمكن إذا طولب بالاداء ومطل ظلم، وذلك يبيح من عرضه أن يقال فيه: فلان يمطل الناس ويحبس حقوقهم ويبيح للامام أدبه وتعزيره حتى يرتدع عن ذلك[4]. وقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ﴾[5]، يقول تعالى مخبرًا عن الأمم الماضين، وما حل بهم من العذاب والنكال؛ في مخالفة الرسل والتكذيب بالحق، فقال:﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ ﴾ أي:خبرهم وما كان من أمرهم،﴿ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ ﴾ أي:وخيم تكذيبهم ورديء أفعالهم، وهو ما حل بهم في الدنيا من العقوبة والخزي﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾أي:في الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوي. ثم علل ذلك فقال:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ٦ ﴾[6] أي:بالحجج والدلائل والبراهين. والمراد من ذلك هو الاعتبار بِمَنْ سَلَفَ ،

---

[1] . مسند أحمد (29/ 465) عن عمرو بن الشريد عن أبيه ،وانظر مسند ابن أبي شيبة (190/3) من حديث الأنصاري،والسنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي السنن الكبرى (6/ 51)كتاب التفليس،باب حبس من عليه الدين إذا لم يظهر ماله وما على الغنى فى المطل،رقم الحديث:(11610)، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي،تأليف/ الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني،ت/ن/ مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،ط/1، . 1344 هـ.

[2] . جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (6/ 2) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى : 67 هـ).

[3] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ(3/ 118) محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري(256هـ) كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس ،باب: مطل الغني ظلم، جديث رقم: (2400) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(3/ 1197) مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، باب كتاب المساقاة،باب تحريم مطل الغني، وصحة الحوالة، واستحباب قبولها إذا أحيل على ملي ،حديث رقم:(33 – (1564)).

[4] نفس الرجع السابق.

[5] .(سورة التغابن الآية 5).

[6] .(سورة التغابن الآية : ٦).

ومَنْ لم يعتبِرْ عَثَرَ في مَهْوَاةٍ من الامَلِ ، ثم لا يَنْتَعِشُ إلاّ بعد فواتِ الأمرِ من يده[1].فيكون المصير،كما ذكر الله تعالى:﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2]وقوله:﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾[3]،والنكال:هو اسم لما جعل نكالاً للغير ، أي عقوبة له حتى يعتبر به[4]وفي يونس قال:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾[5] قال أبوجعفر[6]:القول في تأويل قوله تعالى:﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ يقول تعالى ذكره لفرعون: اليوم نجعلك على نَجْوةٍ من الأرض ببدنك، ينظر إليك هالكًا من كذّب بهلاكك﴿ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾،يقول: لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك،، فينزجرون عن معصية الله، والكفر به والسعي في أرضه بالفساد).

وقال القشيري:(لنشهرنّ تعذيبك، ونظهرنّ لمن استبصر تأديبك، لتكون لمن خلفك عبرة، وتزداد حين أفقت أسفا وحسرة.)[7]،قال الواحدي[1]:قال ابن عباس والمفسرون: لما أغرق الله

---

[1] . تفسير القشيري (7/ 432) محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري، أبو علي: مؤرخ، من حفاظ الحديث. من أهل حران، سكن الرقة. وقال الصفدي: نزيل الرقة ومؤرخها. له (تاريخ الرقة ومن نزلها من أصحاب رسول الله – ﷺ– والتابعين والفقهاء والمحدثين) . توفي عام(000 – 334 هـ – 000 – 945 م)أنظر: الأعلام للزركلي (6/ 138)، وطبقات الحفاظ (ص: 69)للذهبي، معجم المؤلفين (10/ 31) عمر كحالة الدمشقي(المتوفى: 1408هـ).

[2] (سورة البقرة الآية 66).

[3].(سورة النازعات الآيتان25.26).

[4].أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (8/ 420)، ،ن/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان،ط/ 1415 هـ – 1995 مـ.والكتاب للشنقيطي/ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي(1325 – 1393 هـ = 1907 – 1973 م): مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد وتعلم بها. وحج (1367) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (1381) وتوفي بمكة. له كتب، منها أضواء البيان في تفسير القرآن، ومنع جواز المجاز،ومنهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات،صغير و(دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب،وآداب البحث والمناظرة ، جزان وغيرها،وانظر الأعلام للزركلي (6/ 45).

[5] .(سورة يونس الآية 92).

[6].جامع البيان للطبري ، (15/ 194) ت/ شاكر،مرجع سابق.

[7] .لطائف الإشارات (2/ 114) لعبد الكريم بن هوازن القشيرى،ت/ إبراهيم بسيونى،ن/ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر.

فرعون وقومه أنكر بعض بني إسرائيل غرق فرعون، وقالوا: هو أعظم شيئا من أن يغرق، فأخرجه الله حتى رأوه، فذلك قوله:﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾أن نلقيك على نجوة من الأرض، وهي المكان المرتفع ومعنى ببدنك بجسدك بغير روح، وذلك أنه طفى عريانا، وذهب قوم إلى أن معنى البدن هنا الدرع، قال ابن عباس: كانت عليه درع من ذهب يعرف بها وهو البدن.) وجاء أيضا: لا تذهب بعد غرقك مع التيار وتأكلك الحيتان، وإنما تبقى جثتك حجة ناطقة عليك لمن يأتي بعدك في مستقبل الزمان...ولهذا لا تزال جثته محفوظة حتى الآن، معروضة في متحف الآثار بالقاهرة يشاهدها الزائرون:لِتَكُونَ لِمَنْ جاء بعده عبرة،وعظة[2]. وقال آخر[3]، أي: يخرجك من البحر، ويلقى ببدنك على شاطئه خاليا من الروح، لتكون قصتك آية وعلامة لمن وراءك من أهل عصرك ومن يأتى بعدهم ممن يبلغهم خبرك، وتصل إلى أسماعهم عاقبتك، فيعرفون من هذه الآية أن الكفر بالله وخيم العاقبة، وأنه لا يصح للبشر أن يشاركوه في الأُلوهية أَو يستأْثروا بها،... ومع ما في قصة فرعون من العبر فلم يلتفت إلى الإفادة منها كثير من الناس، كما قال تعالى:﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ٩٢ ﴾[4] أي وإن كثيرًا من أهل مكة ومن غيرهم لغافلون، عن التفكير في آيات الله التي أَقامها أَو أَنزلها للفصل بين الحق والباطل

---

[1].(التفسير الوسيط (2/ 558).تأليف/ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، وآخرون ،ن/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ 1، 1415 هـ - 1994 م.ينظر لترجمته: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (4/ 1659)،وسير أعلام النبلاء (13/ 453)،والوافي بالوفيات (20/ 101)، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (5/ 240).

[2] . التيسير في أحاديث التفسير (3/ 80)بتصرف يسير وهو لمحمد المكي الناصري (1324 - 1414 هـ) = (1906 - 1994 م)ن/ دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ط/1 1405 هـ - 1985 م.والمؤلف عالم، مفسِّر. ولد في الرباط ودرس في القاهرة، ثم باريس، ثم جنيف. رئيس رابطة العلماء، عضو مجلس الوصاية، عضو الأكاديمية الملكية بالمغرب، أحد رواد الحركة الوطنية فيها، عالم لم يتوقف عن نشر العلم والتعريف بحقائق الإسلام.

[3].التفسير الوسيط للقرآن الكريم (4/ 136)بتصرف يسير،تأليف/ مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر،ن/ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية،ط/1، (1393 هـ = 1973 م) - (1414 هـ = 1993 م).

[4].(سورة يونس الآية: ٩٢).

لغافلون أَشد الغفلة، ساهون عن تدبر معانيها، والانتفاع بدلالاتها، ولو فعلوا لما ضلوا عن سواء السبيل،ولكن مهما حرصت فالناس كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣ ﴾[1] .

ومن أدلة القرآن كذلك قوله تعالى:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ ﴾ ، يقول: شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا، فيقولون: هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم، يقول الله:﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، يقول: ألا غضب الله على المعتدين الذين كفروا بربّهم)[3]وقال ابن عباس، ومجاهد: هم الملائكة والأنبياء.وقال قتادة: يعني: الخلائق[4].وقال الشوكاني:و(الأشهاد هم الملائكة الحفظة وقيل المرسلون وقيل الملائكة والمرسلون والعلماء الذى بلغوا ما أمرهم الله بإبلاغه وقيل جميع الخلائق والمعنى أنه يقول هؤلاء الأشهاد عند العرض هؤلاء المعرضون أو المعروضة أعمالهم الذين كذبوا على ربهم بما نسبوه إليه ولم يصرحوا بما كذبوا به كأنه كان أمرا معلوما عند أهل ذلك الموقف قوله،...والفائدة في قول الأشهاد بهذه المقالة المبالغة في فضيحة الكفار والتقريع لهم على رءوس الأشهاد[5].وفي تفسير المنار[6]؛عند قوله تعالى:﴿ وَمَنۡ

---

[1].(سورة يوسف الآية: ١٠٣).

[2].(سورة هود الآية : ١٨).

[3] . جامع البيان في تأويل آي القرآن (15/ 282) مرجع سابق.

[4]. الوسيط في تفسير القرآن المجيد (2/ 568). لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس ن/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط/1، 1415 هـ - 1994 م.

[5].فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير(2/ 490) ن/ دار الفكر- بيروت..لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني(1217 - 1250 هـ = 1802 - 1834 م) فقيه، من أهل الاجتهاد. يماني من صنعاء. ولد وتوفي بها ،وانظر الأعلام للزركلي (5/ 17).

[6].تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (12/ 47) لمحمد رشيد بن علي رضا (المتوفى: 1354هـ) مرجع سابق.

أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]أي:يشيرون إليهم بأشخاصهم فيفضحونهم بهذه الشهادة المقرونة باللعنة، الدالة على خروجهم في ذلك اليوم من محيط الرحمة، وجملة اللعنة يجوز أن تكون من كلام الأشهاد، وأن تكون مستأنفة من كلام الله تعالى.وفي معنى هذا قوله تعالى﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[2]،ويقول سيد قطب رحمه الله[3]:إنه التشهير والتشنيع. بالإشارة: «هؤلاء» .. «هؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا» .. وعلى من؟ «عَلى رَبِّهِمْ» لا على أحد آخر! إن جو الفضيحة هو الذي يرتسم في هذا المشهد، تعقبها اللعنة المناسبة لشناعة الجريمة:«أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» ..يقولها الأشهاد كذلك. والأشهاد هم الملائكة والرسل والمؤمنون، أو هم الناس أجمعون. فهو الخزي والتشهير – إذن – في ساحة العرض الحاشدة! أو هو قرار الله سبحانه في شأنهم إلى جانب ذلك الخزي والتشهير على رؤوس الأشهاد:«أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» .

ومن الأدلة كذلك ما جاء في قصة ذي القرنيين مع من وجدهم عند مغرب الشمس وخيره ربه فيما يفعل فيهم وفق منهجه ،فكان من أمره أن حكم فيهم بالعدل الذي أمر الله به في شرائعه حيث الثناء والمدح والمجازات بالتي هي أحسن ،وإيتاء الثواب العاجل في الدنيا مع ما يدخره الله له من الأجر العظيم في الآخرة كما قال سبحانه وتعالى﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾[4]الآية.وذلك في قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[5].من الأدلة على جواز العقاب ورد الاعتداء على المعتدين قوله تعالى:﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ

---

[1].(سورة هود الآية: ١٨).

[2].[سورة غافر الآية 51 ـ 52].

[3].في ظلال القرآن(4/ 1867)لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385همرجع سابق.

[4] . [سورة الإسراء الآية: 21].

[5] . [سورة الكهف: 86 – 88].

وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ﴾[1]،وقوله:﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[2]،وقوله:﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾[3] وقوله:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[4] وهذه الأخيرة تدعو إلى العفو والمسامحة والتجاوز عن المسيء لا سيّما إذا كان ممن زلّت بهم القدم في الخطأ وليس من طبعهم الحيف والظلم والتعدي.

ومن أدلة السنة ما جاء في حديث ابن مسعود مرفوعا:(لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث:الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة)[5] هذه الجرائم الثلاث هي مجمع الجرائم في الدين والنفس والعرض.

وأيضا منها قولهﷺ:(يدنى المؤمن من ربه – وقال هشام: يدنو المؤمن – حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار– فينادى على رءوس الأشهاد:﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6]، ومن الأدلة كذلك النصوص التي جاءت عن رسول ﷺ في أهل الغدر منها قوله ﷺ:(إذا جمع اللهُ الأولين

---

[1]. [سورة البقرة : 194]

[2].[سورة النحل: 126].

[3].[سورة فصلت : 34]

[4].[سورة الشورى: 40،41].

[5].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (9/ 5)،باب الديات،باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ ﴾ الآية[المائدة: 45] ،حديث رقم :(6878)،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (3/ 1302)للإمام/ مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ)، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب ما يباح به دم المسلم،حديث رقم:(25 – (1676).

[6] .سورة هود الآية: 18).

والآخرين يومَ القيامةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ فقيل هذه غَدْرَةُ فلانِ بنِ فلانٍ)[1] ومن أطرافه:(إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة).ومنها أيضا النصوص الواردة في الغال،وأنه يفضح أمره في الدنيا بعدم ستره،وفي الآحرة يفضح أمره على رؤوس الأشهاد، ومن ذلك قصة الرجل الذي سرق شملة من أموال الغنائم قبل أن تقسم،وعندما أثنى عليه الصحابة ﷺ خيرا على حسب علمهم فقال رسول الله ﷺ:(كلا والذي نفسي بيده، «إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا»، قال: فلما سمع الناس ذلك، جاء رجل بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺفقال رسول الله ﷺ:«شراك أو شراكان من نار»)[2]، ومنها حديث بائع الطعام الذي وجد رسول الله ﷺ في طعامه بللاً ، وهو أنه ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ

---

[1] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (8/ 41للإمام البخاري،كتاب الأدب،باب ما يدعى الناس بآبائهم،حديث رقم:(6177) وانظر المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ.(5/ 141) للإمام مسلم بن الحجاج،كتاب الجهاد والسير،باب تحريم الغدر،حديث رقم:(9 – (1735)) ، مسند أحمد (4/ 418)من حديث ابن عمر.

[2] موطأ مالك (2/ 459)،كتاب الجهاد، ما جاء في الغلول،حديث رقم(25) / لأبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي الحميري المدني (93 – 179 هـ ـ 712 – 795 م) إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلبا في دينه، بعيدا عن الأمراء والملوك، وشي به فضربه سياطا انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتابا للناس يحملهم على العمل به، فصنف " الموطأ ،وفي مناقبه قال الشافعي: قال لي محمد بن الحسن: أيهما أعلم: صاحبكم أو صاحبنا، يعني أبا حنيفة ومالكاً، قال: قلت: على الإنصاف؟ قال: نعم، قلت: فأنشدك الله من أعلم بالقرآن: صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال: فأنشدك الله من أعلم بالسنة: صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال: فأنشدك الله من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين: صاحبنا أو صاحبكم؟ قال: اللهم صاحبكم، قال الشافعي: فلم يبق إلا القياس، والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء، فعلى أي شيء يقيس،انظر لترجمته: الطبقات الكبرى ـ متمم التابعين (ص: 433)لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى:230هـ)،ت/ زياد محمد منصور،ن/ مكتبة العلوم والحكم ـ المدينة المنورة،ط/2، 1408،وكذلك: الطبقات لخليفة بن خياط (ص: 479).والتاريخ الأوسط (2/ 220)،و طبقات الفقهاء (ص: 68) لأبي اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: 476هـ) ،هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: 711هـ) ،ت/ إحسان عباس،ن/ دار الرائد العربي، بيروت – لبنان،ط/1، 1970، الأعلام للزركلي (5/ 257)مرجع سابق.صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه/محمد فؤاد عبد الباقي،ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،1406 هـ – 1985 م.

طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟)قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: (أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[1] .والشاهد أن رسول الله ﷺ أظهر أمره للناس زجرا له ولأمثاله إلى يوم القيامة.

ومما ثبت من عمل الصحابة وغيرهم من العلماء على مشروعية التشهير،ما جاء عن عبد الله بن عامر قال:(أتي عمر بشاهد زور فوقفه للناس يوما إلى الليل يقول: هذا فلان يشهد بزور فاعرفوه، ثم حبسه)[2] عنه أيصا أنه كتب في شاهد الزور : يضرب أربعين سوطا ، ويسخم وجهه ، ويحلق رأسه ، ويطال حبسه).إلّا أن يكون حاجا فلا يحلق شعر رأسه والتمثيل بالشعر يكون بحلق جهة من الرأس وترك الجهة الأخرى أو غير ذلك من أشكال يقصد منها تشويه منظر رأس الانسان)[3]،وعن عبد الله بن عامر، قال:أتي عمر رضي الله عنه بشاهد زور،فوقفه للناس يوما إلى الليل يقول: هذا فلان يشهد بزور فاعرفوه ثم حبسه).ورواه أبوالربيع،عن شريك ،عن عاصم وزاد فيه:(فجلده وأقامه للناس)[4].عن أبي سعيد الخدري،عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه:(أنه ظهر على شاهد زور فضربه أحد عشر

---

[1] .المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (1/ 99).للإمام/مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ) كتاب الإيمان ،باب قول النبي ﷺ:«من غشنا فليس منا»،حديث رقم: (102).

[2] . مسند ابن الجعد (ص: 331)، لعلي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: 230هـ)عن عبد الله بن عامر قال:أتي عمر ،تحقيق/عامر أحمد حيدر ن/مؤسسة نادر – بيروت ط/1، 1410 – 1990.

3.مصنف ابن أبي شيبة (ط/ دار الفكر) (6/ 534) لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159 . 235 هـ)،ت/ محمد عوامة.،ط/الدار السلفية الهندية القديمة ،وانظر السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي (10/ 142) للبيهقي،ومصنف عبد الرزاق (8/ 326) كتاب الشهادات ،باب:عقوبة شاهد الزور حديث رقم(15392) ،ت/ حبيب الرحمن الأعظمي،ن/ المجلس العلمي- الهند،المكتب الإسلامي – بيروت،ط/2، 1403، وهو:لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ) وهو: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني، مولى حمير؛ محدث، حافظ، فقيه.أخذ عنه البخاري، وتوفي في نصف شوال وله من العمر 85 سنة،له من الكتب: السنن في الفقه، المغازي، تفسير القرآن، الجامع الكبير في الحديث، وتزكية الارواح عن مواقع الافلاح.،قال أبو سعد ابن السمعاني: قيل ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله ﷺمثل ما رحلوا إليه. يروي عن معمر بن راشد الأزدي مولاهم البصري والأوزاعي وابن جريج وغيرهم، وروى عنه أئمة الإسلام في ذلك العصر منهم. (المتوفى: 211هـ)، انظر:وفيات الأعيان (3/ 216)، ومعجم المؤلفين (5/ 219)لعمر رضا كحالة،مرجع سابق،ملحوظة: وقدنهى بعض السلف عن العقوبة بحلق الشعر؛وذلك لأن الله جعل حلقه نسكا في الحج والعمرة، وانظر مصنف ابن أبي شيبة (5 – 525)مرجع سابق.

[4] . السنن الكبرى (10/ 238) لأبي بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)مرجع سابق.

سوطا، ثم قال:(لا تأسروا الناس بشهود الزور ،فإنا لا نقبل من الشهود إلا العدل)[1]وعنه أيضا: أمر بشاهد الزور أن يسخم وجهه ويلقى في عنقه عمامته ويطاف به في القبائل ويقال إن هذا شاهد الزور فلا تقبلوا له شهادة)[2] وكان علي رضي الله عنه إذا أخذ شاهد زور بعث به إلى عشيرته فقال: إن هذا شاهد زور فاعرفوه، وعرفه، ثم خلى سبيله).وعَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ خِلاَسٍ ، قَالَ : جِيءَ بِرَجُلٍ مَعَهُ أَرْبَعَةٌ ، فَشَهِدَ ثَلاَثَةٌ مِنْهُمْ بِالزِّنَى ، وَلَمْ يَمْضِ الرَّابِعُ ، فَجَلَدَ عَلِيٌّ الثَّلاَثَةَ ، وَجَزَّ رَأْسِ الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ)[3].وعن عمر بن مصعب، قال: أتي عبد الله بن الزبير برجل من بني تميم،فأمر بحلقه. [4]. عن ابن سيرين، «أن شريحا، أقام شاهد الزور على مكان مرتفع»[5] وجاء عنه أيضا: أنه أتي رحمه الله بشاهد زور فنزع عمامته، وخفقه خفقات بالدرة، وبعث به إلى المسجد ليعرفه الناس)[6]، وكان رحمه الله يؤتى بشاهد الزور، فيطوف به في أهل مسجده، وسوقه، فيقول: إنا قد زيفنا شهادة هذا، و(كان عبد الله بن عتبة إذا أخذ شاهد الزور فإن كان عربيا بعث به إلى مسجد قومه، وإن كان مولى بعث به إلى سوقه فقال: إنا وجدنا هذا شاهد زور، وإنا لا نجيز شهادته) [7].وشهد قوم عند عمر بن عبد العزيز على رؤية الهلال فأبطل شهادتهم وضربهم)[8]،و(عن الحسن قال:شاهد الزور يضرب شيئا ويعرف للناس ويقال:إن هذا شهد بزور.وعن الشعبي قال: شاهد الزور يضرب ما دون الاربعين خمسة وثلاثين، ستة وثلاثين، سبعة وثلاثين.وعن معمر وعن الزهري قال : شاهد الزور يعزر،وعن أبي الجعد أبي عثمان قال:كان شريح إذا

---

[1] . السنن الكبرى للبيهقي (10/ 238) جماع أبواب ما على القاضي في الخصوم والشهود ،باب: ما يفعل بشاهد الزور ،حديث رقم(20492)المرجع السابق.

[2].مصنف عبد الرزاق(8/ 327) كتاب الشهادات ،باب: عقوبة شاهد الزور ،حديث رقم(15394) المرجع السابق..

[3].مُصنف ابن أبي شيبة،ط/ السلفية(41/10)كتاب الشهادات ،من رخص في حلقه وجزه،حديث رقم(29236)مرجع سابق

[4] . نفس المرجع:(10/ 41) كتاب الحدود،من رخص في حلقه وجزه،أثر رقم(29238).

[5] .مصنف عبد الرزاق الصنعاني (8/ 326) كتاب الشهادات،باب: عقوبة شاهد الزور،أثر رقم(15389) مرجع سابق.

[6] . مصنف عبد الرزاق الصنعاني (8/ 326) كتاب الشهادات ،باب:عقوبة شاهد الزور ،أثر رقم(15391).

[7] . مصنف عبد الرزاق الصنعاني (8/ 326) كتاب الشهادات،باب:عقوبة شاهد الزور،أثر رقم(15390).

[8] . مصنف عبد الرزاق (8/ 327) كتاب الشهادات،باب:عقوبة شاهد الزور ،أثر رقم(15397).

أتي بشاهد الزور خفقه خفقات.[1]،فهذه النقولات عن الصحابة والتابعين دليل على مشروعية التشهير لمن يستحق ذلك،حيث يفهم منها جواز الإعلان والكشف لمن كان مجاهرا بذنبه أو فاعلا ما فيه فساد في الدين والنفس والعرض والعقل والمال ، (والتشهير كالهجر عقوبة معنوية أكثر من كونها بدنية، والمقصود منها: التسميع بالمذنب والمخالف، والمناداة عليه بما ارتكب من الذنب. فقد يلجأ إليها القاضي أو الحاكم، وكان الولاة المحتسبون السابقون عندما يريدون التشهير بالمذنب يركبونه حمارًا أو جملًا، ويلبسونه الطرطور، ويدار به في السوق، ويؤمر من يطوف به أن يقول: هذا فلان قد فعل كذا فاحذروه)[2].وإذا رأى من الصلاح في ردع السفلة أن يشهّرهم وينادي عليهم بجرائمهم ساغ له ذلك)[3].

والعقوبات في الشريعة الإسلامية تنقسم إلى حدية وتعزيرية:

القسم الأول الحدود:(الحَدُّ الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أَحدهما بالآخر أَو لئلا يتعدى أَحدهما على الآخر وجمعه حُدود ، وفصل ما بين كل شيئين حَدٌّ بينهما، ومنتهى كل شيء حَدُّه)[4].وقد حصر بعض العلماء ما قيل بوجوب الحد به في سبعة عشر شيئا فمن المتفق عليه الردة والحرابة ما لم يتب قبل القدرة والزنا والقذف به وشرب الخمر سواء أسكر أم لا

---

[1] نفس المرجع (6/ 543).

[2] . الحسبة – جامعة المدينة (ص: 115)بتصرف تأليف/ مناهج جامعة المدينة العالمية ن/ جامعة المدينة العالمية.

[3] . الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)ن/ دار الحديث – القاهرة،انظر الموسوعة العربية العالمية. ،وانظر/تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام (150/2) ن/ مكتبة الكليات الأزهرية ط/1، 1406هـ – 1986م. لابن فرحون، ، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري: عالم بحاث، ولد ونشأ ومات في المدينة.وهو مغربي الأصل، نسبته إلى يعمر بن مالك، من عدنان. ابن فرحون،المتوفى (000 – 799 هـ = 000 – 1397 م)رحل إلى مصر والقدس والشام سنة 792 هـ. وتولى القضاء بالمدينة سنة 793 ثم أصيب بالفالج في شقه الأيسر، فمات بعلته عن نحو 70 عاما. وهو من شيوخ المالكية، له (الديباج المذهب)، في تراجم أعيان المذهب المالكي، و (تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام) و (درة الغواص في محاضرة الخواص) ،و (طبقات علماء الغرب) و (تسهيل المهمات)، في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب،.انظر /الأعلام ((1/ 52) للزركلي.

[4] لسان العرب – (ج 3 / ص 140)لابن منظور،مرجع سابق ،وانظر الصحاح في اللغة – (ج 1 / ص 118) مرجع سابق، و القاموس المحيط .(ج 1 / 270) للعلامة مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادىّ الشيرازى (729– 817 هـ)،مرجع سابق.

والسرقة ومن المختلف فيه جحد العارية وشرب ما يسكر كثيره من غير الخمر والقذف بغير الزنا والتعريض بالقذف واللواط ولو بمن يحل له نكاحها وإتيان البهيمة والسحاق وتمكين المرأة القرد وغيره من الدواب من وطئها والسحر وترك الصلاة تكاسلا والفطر في رمضان وهذا كله خارج عما تشرع فيه المقاتلة كما لو ترك قوم الزكاة ونصبوا لذلك الحرب)[1]. وتقام الحدود على كل من وقع منه جرم يستحق الحد، ولا تجوز الشفاعة فيه إذا رفع للسلطان لماجاء عن عائشة رضي الله عنها، أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺفكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ:" أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[2].

وعنها أيضا ، قالت:قال رسول الله ﷺ:(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود) [3] كما أنه:(لا يحد الزاني إلا باعتراف أو بحمل يظهر أو بشهادة أربعة رجال أحرار بالغين عدول يرونه كالمرود في المكحلة ويشهدون في وقت واحد وإن لم يتم أحدهم الصفة حد الثلاثة الذين أتموها) [4]. وإنما شرط في ثبوت الزنا أربعة دون غيره من الحقوق تغليظا على الشاهد بقذفه، لأنه لا ضرورة له إلى تلك الشهادة على هذا الأمر القبيح،فشدد عليه حتى لا يكاد

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري (12/ 58)، كتاب الحدود، المؤلف/ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي،ن/ دار المعرفة – بيروت، 1379.

[2] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (8/ 160) كتاب الحدود ،باب قول الله تعالى:{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما} [المائدة: 38]مرجع سابق.

والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، (3/ 1315) للإمام مسلم بن الحجاج، كتاب الحدود ،باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود،مرجع سابق.

[3] سنن أبي داود (6/ 428)، أول كتاب الحدود، باب في الحدِّ يُشفعُ فيه، ت/ الأرنؤوط ،مرجع سابق.

[4] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (7/ 171) لأحمد بن غانم (أو غنيم) بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي الأزهري المالكي (المتوفى: 1126هـ)،ت/ رضا فرحات،الناشر: مكتبة الثقافة الدينية.

يثبت الزنا على أحد وقصدا للستر، ولأن الزنا من الأمور النسبية التي لا تقع إلا بين اثنين، فطلبت الأربع ليكون على كل واحد اثنان)[1].

والقسم الثاني التعزير[2]:وهو من العزر بمعنى الرد والردع ، وهو:التَّأْدِيبُ دُونَ الْحَدِّ ، ويأتي بمعنى النصرة والتعظيم كما فِي قَوْله تَعَالَى:﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[3].وأَصل التعزير المنعُ والردُّ فكأَن مَن نصَرْتَه قد رَدَدْتَ عنه أَعداءَه ومنعتهم من أَذاه ، ولهذا قيل للتأْديب الذي هو دون الحدّ تَعْزير ؛ لأَنه يمنع الجانيَ أَن يُعاوِدَ الذنب[4].

وفي البدائع : والتعزير: هو التغيير والتوبيخ وذلك غير مقدر، فقد يكون بالحبس وقد يكون برفع الصوت وتعبيس الوجه، وقد يكون بضرب أسواط على حسب الجناية وحال الجاني [5].

سبب وجوبه فارتكاب جناية ليس لها حد مقدر في الشرع، سواء كانت الجناية على حق الله – تعالى – كترك الصلاة والصوم ونحو ذلك، أو على حق العبد بأن آذى مسلما بغير حق بفعل أو بقول يحتمل الصدق والكذب بأن قال له: يا خبيث، يا فاسق، يا سارق، يا فاجر، يا كافر، يا آكل الربا، يا شارب الخمر، ونحو ذلك [6].

وأما شرط وجوبه فالعقل فقط؛ فيعزر كل عاقل ارتكب جناية ليس لها حد مقدر، سواء كان حرا أو عبدا، ذكرا أو أنثى، مسلما أو كافرا، بالغا أو صبيا، بعد أن يكون عاقلا؛ لأن هؤلاء

---

[1] الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني (7/ 173)المرجع السابق.

[2] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – (ج 6 / ص 128) ،تأليف/ أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)،ن/ المكتبة العلمية – بيروت.

[3].[سورة الفتح الآية 9].

[4] لسان العرب – (ج 4 / ص 561)لابن منظور.

[5] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (7/ 58) ن/ دار الكتب العلمية،ط/2، 1406هـ – 1986م.،تأليف/ علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي،أمير كاسان، بلدة من وراء النهر من بلاد الترك، أقام ببخارى واشتغل بها بالعلم على شيخه الامام علاء الدين محمد بن أبي أحمد السمر قندي، وقرأ عليه معظم تصانيفه مثل: التحفة في الفقه، وشرح التأويلات في تفسير القرآن العظيم، وغيرهما من كتب الأصول، وسمع منه الحديث، ومن غيره (المتوفى: 587هـ)، انظر/ الجواهر المضية في طبقات الحنفية (2/ 244)تأليف/ عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: 775هـ)،وبغية الطلب فى تاريخ حلب (10/ 4347)لمؤلفه/ عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: 660هـ).

[6] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (7/ 63) المرجع السابق.

من أهل العقوبة، إلا الصبي العاقل فإنه يعزر تأديبا لا عقوبة؛ لأنه من أهل التأديب[1].وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ،فمن أدلة الكتاب:قول الله تعالى في علاج نشوز النساء:﴿ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥ ﴾[2] قال ابن الهمام في كتابه فتح القدير :أمر بضرب الزوجات تأديبا وتهذيبا)[3].

وأما مشروعيته في السنة قول النبي ﷺ:(لَيُّ الْوَاجِدِ يُحِلُّ عُقُوبَتَهُ وَعِرْضَهُ) قَالَ سُفْيَانُ عِرْضُهُ يَقُولُ مَطَلْتَنِي وَعُقُوبَتُهُ الْحَبْسُ [4] قال وكيع : عرضه شكايته وعقوبته حبسه[5].

قَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ يُحِلُّ عِرْضُهُ يُغَلَّظُ لَهُ وَعُقُوبَتَهُ يُحْبَسُ لَهُ [6].

وأما دليل الإجماع فقد قال الزيلعي في كتابه تبيين الحقائق : واجتمعت الأمة على وجوبه في كبيرة لا توجب الحد، أو جناية لا توجب الحد. ثم هو قد يكون بالحبس، وقد يكون بالصفع وبتعريك الآذان، وقد يكون بالكلام العنيف[7] .

---

[1] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (7/ 63)مرجع سابق.

[2].(سورة النساء/34، 35).

[3] فتح القدير (5/ 345)،كتاب الحدود ، فصل في التعزير، ن/ دار الفكر،ط/: بدون طبعة وبدون تاريخ. تأليف/ محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد ابن مسعود، السيواسي ثم الإسكندري، كمال الدين، المعروف بابن الهمام: (790 – 861 هـ = 1388 – 1457 م) إمام، من علماء الحنفية. عارف بأصول الديانات والتفسير والفرائض والفقه والحساب واللغة والموسيقى والمنطق. أصله من سيواس. ولد بالإسكندرية، ونبغ في القاهرة. وأقام بحلب مدة.وجاور بالحرمين. ثم كان شيخ الشيوخ بالخانقاه الشيخونية بمصر. وكان معظما عند الملوك،وأرباب الدولة. توفي بالقاهرة.، انظر/الأعلام للزركلي (6/ 255).

[4].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (3/ 118) لمحمد بن إسماعيل البخاري.

– كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب: لصاحب الحق مقال،حديث رقم(2400)(ج8/ص 239).

[5].مصنف ابن أبي شيبة – (ج 5 / ص 287) مرجع سابق.

[6] سنن أبي داود – (ج 10 / ص 32) مرجع سابق.

[7].كتاب تبين الحقائق للزيلعي، شرح كنز الدقائق للنسفي، كتاب الحدود باب حد القذف ج3/ص633/ط1/1420هـ 2000م دار الكتب العلمية . بيروت.

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنواع العقوبات ومنها التعزير فقال رحمه الله:(والتعزير أجناس:فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام ،ومنه ما يكون بالحبس ، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن . ومنه ما يكون بالضرب)[1] ،كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: أنّ الأفضل في الجزاء أن يكون من جنس العمل وذلك في قوله:(فإذا أمكن أن تكون العقوبة من جنس المعصية كان ذلك هو المشروع بحسب الإمكان مثل ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شاهد الزور أنه أمر بإركابه دابة مقلوباً وتسويد وجهه، فإنه لما قلب الحديث قلب وجهه ، ولما سود وجهه بالكذب سود وجهه.وهذا قد ذكره في تعزير شاهد الزور طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم. ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٧٢ ﴾[2].وقال تعالى:﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ ﴾[3]. وفي الحديث: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ، قال: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال)[4]. فإنهم لما أذلوا عباد الله أذلهم الله لعباده ،كما أن من تواضع لله رفعه الله5.وكذلك السياسة كما في قصة نفي عمر لنصر بن الحجاج، فإنه ورد أنه قال لعمر: ما ذنبي يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا ذنب

---

[1].كتاب الحسبة – (ج 1 / ص 41) لشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، الإمام العلامة الحافظ الحجة فريد العصر بحر العلوم (المتوفى: 728هـ)انظر معجم محدثي الذهبي (ص: 25) لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي،(سنة الولادة 673هـ/ سنة الوفاة 748هـ)،ت/ د روحية عبد الرحمن السويفي،دار/ن/ الكتب العلمية ، 1413هـ – 1993م ، بيروت – لبنان، وذيل طبقات الحنابلة (4/ 491) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)،ت/ د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين،ن/ مكتبة العبيكان – الرياض،ط/1، 1425 هـ – 2005 م.

[2].[سورة الإسراء: 72].

[3].[سورة طه الآية/124.].

[4].سنن الترمذي (4/ 655) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ،حديث رقم : (2492) ،مسند أحمد – ،مسند عبد الله ين عمرو ،(ج 13 / ص 428) حديث رقم (6677)مرجع سابق.

[5].انظر الحسبة في الإسلام، أو وظيفة الحكومة الإسلامية (ص: 58) بتصرف./لتقي الدين ابن تيمية ، ،ن/ دار الكتب العلمية،ط/1.

لك، وإنما الذنب لي حيث لا أطهر دار الهجرة منك، فقد نفاه لافتتان النساء به وإن لم يكن بصنعه، فهو فعل لمصلحة وهي قطع الافتتان بسببه في دار الهجرة التي هي من أشرف البقاع، ففيه رد وردع عن منكر واجب الازالة[1]. ومن التعزيرات الحرمان من ممارسة بعض الحقوق، وقد حرم رسول الله القائل الحميري من حقه في السلب، لسوء معاملته لأميره)[2]خالد بن الوليد ﷺ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وَمَنْ عُلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ يَغْبِن المسلمين فإنه يَسْتَحِقُّ الْعُقُوبَةَ؛ بَلْ يُمْنَعُ مِنْ الْجُلُوسِ فِي سُوقِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَلْتَزِمَ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلِلْمَغْبُونِ أَنْ يَفْسَخَ الْبَيْعَ فَيَرُدَّ السِّلْعَةَ وَيَأْخُذَ الثَّمَنَ)[3]،وقال أيضا في تعزير المدين المماطل:(ولو كان قادرا على أداء الدين وامتنع ورأى الحاكم منعه من فضول الأكل والنكاح فله ذلك، إذ التعزير لا يختص بنوع معين وإنما يرجع فيه إلى اجتهاد الحاكم في نوعه وقدره إذا لم يتعد حدود الله)[4]،كما ذكر رحمه الله جملة من المسائل التي حكم الإسلام فيها التعزير والتأديب دون الحد فقال:وأما المعاصي التي ليس فيها حد مقدر ولا كفارة ، كالذي يقبل الصبي والمرأة الأجنبية ، أو يباشر بلا جماع أو يأكل ما لا يحل ، كالدم والميتة ، أو يقذف الناس بغير الزنا ، أو يسرق من غير حرز ، ولو شيئا يسيراً ، أو يخون أمانته ، كولاة أموال بيت المال أو الوقوف ، ومال اليتيم ونحو ذلك ، إذا خانوا فيها ، وكالوكلاء والشركاء إذا خانوا ، أو من يغش في معاملته ، كالذين يغشون في الأطعمة والثياب ونحو ذلك ، أو يطفف المكيال والميزان ، أو

---

[1].رد المحتار على الدر المختار (4/ 15)كتاب الحدود، تأليف/ ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، فقيه الديار الشامية وإمام الحنفية في عصره. مولده ووفاته في دمشق. ا،(1198- 1252 هـ= 1784- 1836 م)،ن/ دار الفكر-بيروت،ط/2، 1412هـ- 1992م. انظر/الأعلام للزركلي (6/ 42).

[2].انظر / المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(3/ 1373) كتاب الجهاد والسير ،باب استحقاق القاتل سلب القتيل،(حديث،1753). للإمام/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ).

[3].مجموع الفتاوى (29/ 299). تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)،ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ن/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام /ن: 1416هـ/1995م.

[4] الفتاوى الكبرى لابن تيمية (5/ 398) ن/ دار الكتب العلمية،ط/1، 1408هـ - 1987م، وفي(الاختيارات الفقهية (ص:480) ت/علي بن محمد بن عباس البعلى الدمشقي ن/دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط/ 1397هـ/1978م.

يشهد بالزور، أو يلقن شهادة الزور، أو يرتشي في حكمه ، أو يحكم بغير ما أنزل الله ، أو يعتدي على رعيته ، أو يتعزى بعزاء الجاهلية ، أو يلبي داعي الجاهلية ، إلى غير ذلك من أنواع المحرمات : فهؤلاء يعاقبون تعزيراً وتنكيلاً وتأديباً ، بقدر ما يراه الوالي ، على حسب كثرة ذلك الذنب في الناس وقلته . فإذا كان كثيراً زاد في العقوبة ؛ بخلاف ما إذا كان قليلاً . وعلى حسب حال المذنب ؛ فإذا كان من المدمنين على الفجور زيد في عقوبته ؛ بخلاف المقل من ذلك وعلى حسب كبر الذنب وصغره ؛ فيعاقب من يتعرض لنساء الناس وأولادهم ، بما لا يعاقب من لم يتعرض إلا لمرأة واحدة ، أو صبي واحد . وليس لأقل التعزير حد ؛ بل هو بكل ما فيه إيلام الإنسان ، من قول وفعل ، وترك قول ، وترك فعل ، فقد يعزر الرجل بوعظه وتوبيخه والإغلاظ له ، وقد يعزر بهجره وترك السلام عليه حتى يتوب إذا كان ذلك هو المصلحة ، كما هجر النبي ﷺوأصحابه" الثلاثة الذين خلفوا" ، وقد يعزر بعزله عن ولايته ، كما كان النبي ﷺوأصحابه يعزرون بذلك ؛ وقد يعزر بترك استخدامه في جند المسلمين ، كالجندي المقاتل إذا فر من الزحف ؛ فإن الفرار من الزحف من الكبائر، وقطع أجره نوع تعزير له ، وكذلك الأمير إذا فعل ما يستعظم فعزله عن إمارته تعزير له . وكذلك قد يعزر بالحبس ، وقد يعزر بالضرب ، وقد يعزر بتسويد وجهه وإركابه على دابة مقلوباً ؛ كما روي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أنه أمر بمثل ذلك في شاهد الزور ، فإن الكاذب سود الوجهَ، فسُود وجهُه، وقلَبَ الحديث ، فقُلِب ركوبه[1].وجماع العقوبات نوعان : **أحدهما**:على ذنب ماض، جزاء بما كسب نكالاً من الله ، كجلد الشارب والقاذف ، وقطع المحارب والسارق.

والثاني: العقوبة لتأدية حق واجب ، وترك محرم في المستقبل[2].

وتجوز الشفاعة في التعزير وإن بلغ السلطان ويجوز أن يعفو الإمام عن الجاني لمصلحة راجحة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ الْحَدَّ وَإِنْ لَمْ يَجُزْ الْعَفْوُ عَنْهُ وَلَا الشَّفَاعَةُ فِيهِ فَيَجُوزُ فِي التَّعْزِيرِ الْعَفْوُ عَنْهُ وَتَسُوغُ الشَّفَاعَةُ فِيهِ)[1].

---

[1] السياسة الشرعية/ لابن تيمية (ج1 / ص 103)،ط1/1418هـ/الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، السعودية .

[2] السياسة الشرعية – (ج 1 / ص 107)المرجع السابق.

وهنا سؤال هام وهو: من هو الذي يقوم بتنفيذ القصاص و بالعقاب؟.وللإجابة على هذا السؤال ننظر كيف فهم سلفنا من العلماء النصوص الشرعية من الكتاب والسنة. قد ذكرت فيما سبق أن العقوبات في الشرع الإسلامي تنقسم إلى قسمين:حدود، وتعزيرات، وأن الحدود شيئ مقدر في الشرع ومتفق عليه بين علماء المسلمين ،وكذلك التعزير وهو النوع الثاني من العقوبات في الإسلام ،وقد تركه الشرع الحنيف للحكام والولاة يرون فيه رأيهم بما يحقق المصلحة والنفع للأمة، وبما يحقق مصالح الشرع ومقاصده العليا.ولأنّ الناس لا تصلح أمورهم فوضى لا سراة لهم، فإنه جعل لهم قائدا يصدرون عنه وهو الوحيين القرآن والسنة ، وهما المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يضل من اهتدى بهما ،وجعل لهذا القائد قيادة تحكم به بين الناس؛وهم الولاة والعلماء، ولذا لابد من السمع والطاعة للشرع، والمنفذين له وهم حكام المسلمين، علماء وأمراء[2].وإلاّ لو أراد كل واحد من أفراد الرعية أخذ الحقوق بيده ،لادعى الناس دعاوى لا تنتهي ،ولا تحد بحدود، فهذا هو الأصل الذي تقوم عليه الحياة عند المسلمين، بل حتى عند غير المسلمين .يقول القرطبي[3]:(الحد الذي أوجب الله في الزنا والخمر والقذف وغير ذلك ينبغي أن يقام بين أيدي الحكام، ولا يقيمه إلا فضلاء الناس وخيارهم يختارهم الإمام لذلك. وكذلك كانت الصحابة تفعل كلما وقع لهم شيء من ذلك، رضي الله عنهم.وسبب ذلك أنه قيام بقاعدة شرعية وقربة تعبدية، تجب المحافظة على فعلها وقدرها ومحلها وحالها، بحيث لا يتعدى شئ من شروطها ولا أحكامها، فإن دم المسلم وحرمته عظيمة، فيجب مراعاته بكل ما أمكن.

قال القرطبي[4]: (لا خلاف أن المخاطب بهذا الأمر الإمام ومن ناب منابه.وزاد مالك5 والشافعي1: السادة في العبيد.قال الشافعي: في كل جلد وقطع.وقال مالك: في الجلد دون

---

[1] الأحكام السلطانية – (ج1/ ص 480)، وانظر كتاب المجموع شرح المهذب / لأبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، تحقيق محمد نجيب المطيعي ح3/ص213، ،ن/ دار الفكر.

[2] انظر المجموع شرح المهذب للشيرازي،تحقيق محمد نجيب المطيعي،(ج213/22) المرجع السابق.

[3] . جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (ج 12 / ص 163) /لأبي عبد الله القرطبي (المتوفى: 671 هـ).

[4] جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (ج 12 / ص 161)المرجع السابق.

[5] سبقت ترجمته ص30.

القطع.وقيل: الخطاب للمسلمين، لان إقامة مراسم الدين واجبة على المسلمين، ثم الامام ينوب عنهم، إذ لا يمكنهم الاجتماع على إقامة الحدود.).

وهنا تساؤل آخر وهو:كيف نفهم بعض النصوص مثل قول الله تعالى:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[2]،وقوله:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[3]،والجواب في ثنايا كلام المفسرين،ومن ذلك قول الإمام القرطبي قوله تعالى:﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ ﴾ الاعتداء هو التجاوز ،قال الله تعالى:﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4]، أي يتجاوزها، فمن ظلمك فخذ حقك منه بقدر مظلمتك ، ومن شتمك فرد عليه مثل قوله ، ومن أخذ عرضك فخذ عرضه، لا تتعدى إلى أبويه ولا إلى ابنه أو قريبه ، وليس لك أن تكذب عليه وإن كذب عليك، فإن المعصية لا تقابل بالمعصية ، فلو قال لك مثلا : يا كافر ، جاز لك أن تقول له: أنت الكافر. وإن قال لك :يا زان ، فقصاصك أن تقول له : يا كذاب يا شاهد زور. ولو قلت له يا زان، كنت كاذبا وأثمت في الكذب. وإن مطلك وهو غني دون

---

[1].هو/ أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف ولد بعسقلان ومات بمصر وكان يسكن مكة ثم تحول إلى مصر فمات بها5 سمع مالك بن أنس وابن عيينة والدراوردي روى عنه أحمد بن حنبل وحرملة، قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعي،كان الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للبدن وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: ما رأيت رجلا قط أكمل من الشافعي،وقال عن نفسه: قدمت على مالك بن أنس وقد حفظت الموطأ فقال لي: أحضر من يقرأ لك، فقلت: أنا قارئ، فقرأت عليه الموطأ حفظا، فقال: إن يك أحد يفلح فهذا الغلام. وكان سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال: سلوا هذا الغلام. ،انظر لترجمة الشافعي/ الكنى والأسماء للإمام مسلم (1/ 503)، ، وانظر الإرشاد في معرفة علماء الحديث (1/ 231) أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: 446هـ)،ت/ د. محمد سعيد عمر إدريس،ن/ مكتبة الرشد – الرياض،ط/1،1409، والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم: (ص: 66) : لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت.،وانظر وفيات الأعيان (4/ 164) مرجع سابق.

[2] سورة الشورى الآيتان 41 – 43 .

[3] سورة البقرة الآية 194.

[4] سورة البقرة الآية 229.

عذر فقل : يا ظالم ، يا آكل أموال الناس ، قال النبي ﷺ:(لَيُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته). أما عرضه فبما فسرناه ، وأما عقوبته فالسجن يحبس فيه. وقال ابن عباس: نزل هذا قبل أن يقوى الإسلام ، فأمر من أوذي من المسلمين أن يجازي بمثل ما أوذي به،أو يصبر أو يعفو ، ثم نسخ ذلك بقوله:﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ،وقيل:نسخ ذلك بتصبيره إلى السلطان. ولا يحل لأحد أن يقتص من أحد إلا بإذن السلطان[2].بل قد اتفق أئمة الفتوى على أنه لا يجوز لأحد أن يقتص من أحد حقه دون السلطان، وليس للناس أن يقتص بعضهم من بعض، وإنما ذلك لسلطان أو من نصبه السلطان لذلك، ولهذا جعل الله السلطان ليقبض أيدي الناس بعضهم عن بعض.كما أجمع العلماء على أن السلطان أن يقتص من نفسه إن تعدى على أحد من رعيته، إذ هو واحد منهم، وإنما له مزية النظر لهم كالوصي والوكيل، وذلك لا يمنع القصاص، وليس بينهم وبين العامة فرق في أحكام الله عز وجل، لقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾ وثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرجل شكا إليه أن عاملا قطع يده: لئن كنت صادقا لأقيدنك منه[3]،وما ذكرته من اتفاق العلماء آنفا لا يدخل فيه التأديب من ولي الأمر في داره لعبده ،أو أمته لنصوص أخرى ذكرها العلماء. وهذه إشارة في موضوع العقوبات وسيكون لهذا تفصيل لاحقا إن شاء الله،في الباب.

المطلب الثالث

بيان الستر

فمن الأخلاقيات الرفيعة في هذا الدين إدناء جلباب الستر على الناس ولاسيما المسلم ما لم يكن في ذلك مفسدة شرعية وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة في هذا الشأن منها على سبيل المثال لا الحصر ما روى أَبَو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله:(كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله

---

[1] سورة التوبة الآية 36.

[2] جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (ج2 / 360) لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى : 671 هـ)،مرجع سابق.

[3].جامع أحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السنة وآي القرآن (2/ 256) المرجع السابق.

عنه)[1] وهذا في ستر المرء على نفسه ذلك أن الذي لا يستر نفسه أولى ألاّ يستره غيره والله سبحانه وتعالى إذا علم من عبده الحياء والخير وضع عليه كنفه وستره فلا يفضحه بين عباده لا في الدنيا ولا في الآخرة كما جاء في حديث العرض يوم القيامة[2] : أخبر ابْنُ عُمَرَ ﷺ عما سمعه فِي النَّجْوَى من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال: قال رسولﷺ الله (إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته)[3] وقد ورد عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:(من نُوقِش الحساب عُذِّب". قالت: فقلت: أليس قال الله:﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾[4]، قال: ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العَرْض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب)[5].فالله سبحانه وتعالى ستير يحب الستر، وقال رسول اللهﷺ:(ومن ستر مسلما، ستره الله في الدنيا والآخرة)[6]الحديث، فالمعنى: من علم عيبا أو أمرا قبيحا في مسلم أو أي خصلة قبيحة من أخيه المؤمن ولو معصية قد انقضت ولم يتجاهر بفعلها (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيى موؤودة من قبرها) بأن رأى أحدا يريد وأد بنت فمنع أو سعى في خلاصها ولو بحيلة

---

[1] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ،ج15/19، كتاب الأدب ،باب ستر المؤمن على نفسه.

[2] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه – (ج 8 / ص 307)كتاب المظالم والغصب ،باب قول الله ألا لعنة الله على الظالمين، وصحيح مسلم (ج 13 / ص 343،كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله .

[3] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (3/ 128) كتاب المظالم والغصب ،باب قول الله تعالى: چ ۇ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ ى ى ﴾ [هود: 18] ،حديث رقم(2441)،للإمام/ البخاري.

[4] .[سورة الإنشقاق الآية 8].

[5]. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (5/ 2394) للبخاري، كتاب الرقاق ، باب: من نوقش الحساب عذب ،حديث رقم:(6536).

[6]. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،(4/ 2074) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر،حديث رقم(2699)) للإمام/ مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ)،

سنن الترمذي (86/3) أبواب الحدود عن رسول الله ﷺ،باب ما جاء في الستر على المسلم ،حديث رقم(1425)،لأبي عيسى الترمذي،والمسند (7/ 230) للإمام حمد،من مسند أبي هريرة،حديث رقم(7421).

.وقيل بأن رأى حيا مدفونا في قبر فأخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت قال المناوي وجه الشبه أن الساتر دفع عن المستور الفضيحة بين الناس التي هي كالموت فكأنه أحياه كما دفع الموت عن الموؤدة من أخرجها من القبر قبل أن تموت انتهى[1].وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال:(لا يستر الله على عبد في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة) [2]وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ بِهَا فِي بَيْتِهِ)[3]، إلى غير ذلك من الأدلة التي تحث على الستر وتعد كلّ من تخلّق به الستر على معايبه في الدنيا والآخرة وتجزل له الأجر والثواب على عمله النبيل الذي ينبض بالإحساس والمسؤولية تجاه الآخرين والذي تتجلى فيه معاني حديث المصطفى ﷺ:(...وَأَحْسِنْ إِلَى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا...)[4]الحديث.ويتضح لنا من هذه النصوص أن الأصل في علاقة المسلم بأخيه السلم إذا رأى منه شيئا أن يستره،لما جاء عن ابن عباسﷺ:(إِنَّ اللَّهَ حَلِيمٌ رَحِيمٌ بِالْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّ السَّتْرَ)[5]والنصوص في هذا الباب أكثر من أن تحصى وإنما هذه إشارة و إيماءة فيه.

وأمّا الكافر والمنافق فيقول الأشهاد:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[6] .

---

[1].فيض القدير شرح الجامع الصغير (6/ 168) المؤلف/ زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (المتوفى : 1031هـ)،ن/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط/1، 1415 هـ – 1994 م.، عون المعبود شرح سنن أبي داود (13/ 160) /لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي،ت/ عبد الرحمن محمد عثمان،ن/ المكتبة السلفية ، المدينة المنورة،ط/2، 1388هـ ، 1968م.

[2].المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ– (ج 12 / ص 478) للإمام مسلم،كتاب البر والصلة والآداب ،باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة.

[3].سنن ابن ماجه – (ج 7 / ص 440)الستر على المؤمن ودفع الحدود.،و سنن ابن ماجه – (ج 12 / ص 262) باب الورع والتقوى.

[4]. مسند أحمد (8/ 167)للإمام أحمد بن حنبل،مسند أبي هريرة ﷺ،سنن الترمذي – (ج 8 / ص 275) أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ،باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس، مرجع سابق.

[5] سنن أبي داود – (ج 13 / ص 407)، حديث (4518) كتاب الأدب ، باب الاستئذان في العورات الثلاث.

[6] (سورة هود/18).

يقول ابن كثير رحمه الله[1] :(يبين تعالى حال المفترين عليه وفضيحتهم في الدار الآخرة على رءوس الخلائق؛ من الملائكة، والرسل، والأنبياء، وسائر البشر والجان) وجاء في مسند أحمد[2]: عن صفوان بن مُحْرِز قال:(كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل قال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ:يقول: "إن الله عز وجل يدني المؤمن، فيضع عليه كنَفَه، ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟حتى إذا قَرَّره بذنوبه،ورأى في نفسه أنه قد هلك قال:فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. ثم يعطى كتاب حسناته،وأما الكفار والمنافقون فيقول:﴿ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ ويقول الرازي[3] اعلم أن الله تعالى وصف هؤلاء المنكرين الجاحدين بصفات كثيرة في معرض الذم ، منها:كونهم مفترين على الله ، وهي قوله:﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ومنها: أنهم يعرضون على الله في موقف الذل والهوان والخزي والنكال وهي قوله:(أُوْلَئِكَ يُعْرَضُونَ على رَبّهِمْ). والصفة الثالثة : حصول الخزي والنكال والفضيحة العظيمة وهي قوله:(وَيَقُولُ الاشهاد هَؤُلاء الذين كَذَبُواْ على رَبّهِمْ).والصفة الرابعة : كونهم ملعونين من عند الله ، وهي قوله:(أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظالمين). ويقول سيد4:إنه التشهير والتشنيع . بالإشارة:(هؤلاء) (هؤلاء الذين كذبوا). وعلى من؟ (على ربهم)لا على أحد آخر! إن جو الفضيحة هو الذي يرتسم في هذا المشهد ، تعقبها اللعنة المناسبة لشناعة الجريمة:(ألا لعنة الله على الظالمين). يقولها الأشهاد كذلك . والأشهاد هم الملائكة والرسل والمؤمنون ، أو هم الناس أجمعون. فهو الخزي والتشهير إذن في ساحة العرض الحاشدة! أو هو قرار الله سبحانه في شأنهم إلى جانب ذلك الخزي والتشهير على رؤوس الأشهاد: (ألا لعنة الله على الظالمين).

وهنا شبهة يجب أن تزال وهي أن بعض الناس يعتقد أنّ منهج النبيﷺ هو دائما الستر وعدم الكشف،ويرون أن التشهير مخالف لهدي الستر النبوي المتمثل في قولهﷺ :من حديث

---

[1] . تفسير القرآن العظيم (4/ 313)مرجع سابق.

[2].مسند أحمد (9/ 318).

[3].مفاتيح الغيب (17/ 164) لفخر الدين الرازيّ،مرجع سابق.

[4] . في ظلال القرآن (4/ 207)مرجع سابق.

عائشة، قالت: كان النبي ﷺإذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا)[1] وأمر بالستر فقال:(من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته)[2] والرد على هذه الشبهة أنّ هذا ليس منهجا مضطردا للنبي ﷺ؛ وإنما كان منهجه حكيما يضع الأمور مواضعها، فحيث يقول هذا يصرح حينا آخر بالعقاب كما جاء في قصة الغال الذي أخذ الشملة من الغنائم قبل القسمة،جاء بيان ذلك من حديث عن أبي هريرة، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺعام خيبر فلم نغنم ذهبا ولا ورقا، إلا الأموال: الثياب والمتاع. قال: فأهدى رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺغلاما أسود، يقال له مدعم. فوجه رسول الله ﷺإلى وادي القرى، حتى إذا كنا بوادي القرى، بينما مدعم يحط رحل رسول الله ﷺإذ جاءه سهم عائر. فأصابه فقتله. فقال الناس: هنيئا له الجنة. فقال رسول الله ﷺ: كلا والذي نفسي بيده، «إن الشملة التي أخذ يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا»، قال: فلما سمع الناس ذلك، جاء رجل بشراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺفقال رسول الله ﷺ:«شراك أو شراكان من نار» [3]. كما أن الستر يكون في أمر دون أمر،وليس في كل الأحوال، وليس في كل مسألة،لوجود مسائل كثيرة أشهرها الإسلام مثل باب العقوبات وعيرها مما نجده من مباحث هذه الرسالة.

وقول البعض إن في التشهير بالعصاة فضيحة وإساءة بالمشهّر به ومن حوله من الأقارب،فإنّ هذا القول لا اعتبار له ولو قلنا بهذا ما طبقنا حدا ولا تعزيرا ولأمن أصحاب الأهواء والشهوات وانتهكت محارم الله، كما أن هذا القول مخالف لهدي النبي ﷺ؛حيث لم

---

[1] سنن أبي داود (7/ 166) ،كِتَاب الْأَدَبِ،بَاب فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ،مرجع سابق.

[2] . سنن ابن ماجه (3/ 580) أبواب الحدود ،باب الشفاعة في الحدود،حديث رقم (2546)مرجع سابق.

[3] الموطأ (2/ 459)للإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ)كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الغلول ، ،صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي.،ن/ دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ـ 1406 هـ – 1985 م.انظر لترجمته: الطبقات الكبرى – متمم التابعين (ص: 433)لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)،ت/ زياد محمد منصور،ن/ مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة،ط/2، 1408،وكذلك: الطبقات (ص: 479) لخليفة بن خياط.والتاريخ الأوسط (2/ 220) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري(المتوفى: 256هـ)،ت/ تيسير بن سعد،الناشر: دار الرشد – الرياض،ط/1، 1426 – 2005.

تأخذه في الله لومة لائم ،كائنا من كان حسبه ونسبه،بل حذّر من سلوك المحابات في هذا، كما في قصة المخزومية التي كانت تجحد العارية ورفع شأنها للنبي صلى الله عليه وسلم، وعندما أراد الرسول ﷺإقامة الحد عليها انزعج أهلها من ذلك، فكان ما روت أم المؤمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حيث قالت :(أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله ﷺفقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله ﷺ فكلمه أسامة، فقال رسول الله ﷺ: " أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[1] ولذا لا يوجد إساءة ولاتفضيح بالأقارب والأحباب ولقوله:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾[2]وقوله:(﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ﴿١٦٤﴾ ﴾[3] الآية،.والمسؤولية في الإسلام على الوجه الأغلب أنها فردية . ثم إنّ ما أمر الله به لا يمكن أن يتضمن فسادا أوإساءة لأحد من الناس، والله أمر بالقصاص، وبإيقاع العقوبة بالجناة والعصاة، ويجب تعليم المجتمعات وتبصيرها، بدين الله تعالى ،فإن السلامة كل السلامة ،كل السلامة في الاستقامة على دين الله. والهلاك ،كل الهلاك في البعد عنه،وفي بحث الحلول في غيره.

المطلب الرابع

الرفق عند إنكار المنكر.

الرفق مطلب شرعي في كل شؤون الحياة، لا سيّما في الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جاءت في هذا نصوص كثيرة في كتاب الله وسنة رسولهﷺ ومنها قوله تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[4] وعَنْ جَرِيرٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ

---

[1].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (4/ 175). كتاب الحدود ،باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع ،وكراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ،حديث رقم(6788) و(6787).

[2]. المدثر الآية/38.

[3] (سورة الأنعام الآية164).

[4].(سورة النحل الآية 125).

ﷺ قَالَ:(مَنْ يُحْرَمْ الرِّفْقَ يُحْرَمْ الْخَيْرَ)[1]. عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:(يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)[2]ومن أقوال السلف القيمة في هذه المسألة ما روى الخلال قال: أخبرنا أبو بكر المروذي، قال: قرأت على أبي عبد الله بن الربيع الصوفي قال: دخلت على سفيان بالبصرة، فقلت: يا أبا عبد الله إني أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على هؤلاء الخبيثين ، ونتسلق على الحيطان؟ قال: أليس لهم أبواب؟ قلت : بلى، ولكن ندخل عليهم لكيلا يفروا ، فأنكر ذلك إنكارا شديدا، وعاب فعالنا، فقال رجل: من أدخل ذا ؟ قلت: إنما دخلت إلى الطبيب لأخبره بدائي، فانتفض سفيان وقال:« إنما أهلكنا أنا نحن سقمى، ونسمى أطباء. ثم قال: لا يأمر بالمعروف، ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى»[3]ومما بات يشوش على هذا المنهج النير ما يقوم به بعض الشباب المتحمسين للإسلام والذب عنه من أعمال شغب وتدمير وتفجير للممتلكات المنشآت وقتل للأنفس التي حرم الله قتلها، إلا بالحق ورمي الناس بما ليس فيهم،وهؤلاء يجب أن يؤخذ على أيديهم، ولا يسمح لهم بالتشويش على الإسلام وأهله،وأنبه بهذه المناسبة إلى عدم إعطاء الذريعة لبعض الحكام الظلمة الذين يحاربون الإسلام باسم الإرهاب،ويستفيدون في حربهم من بعض الأخطاء التي أشرت إليها. وهنا ثمة مسألة يجب التنبه لها وهي الفرق بين المنهج القويم وبين البشر المطبقين له، فالبشر يخطؤن ويصيبون بينما المنهج الشرعي المعتمد على نصوص الكتاب والسنة هو أمر ثابت لايتغير. وبعد هذه الإشارة لموضوع الرفق يتأكد لدينا أن الرفق هو الأصل في حيات المسلم ولذا فلا يجوز لأحد أن يتقول على المنهج الإسلامي ورميه بأعمال العنف لوضوح الأمر.

---

[1].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه –كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين،حديث رقم (8/ 12)وفي المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ (4/ 2003) للإمام مسلم. ،كتاب الأدب / باب فضل الرفق،حديث رقم (2592). مرجع سابق.

[2].المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ– كتاب الأدب / باب فضل الرفق، للإمام مسلم.

[3] .الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ج 1/ ص 37)،تأليف/ أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: 311هـ)،ت/الدكتور يحيى مراد،ان/دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط/1، 1424 هـ – 2003 م.

المطلب الخامس

رعاية المصالح عند إنكار المنكر.

وفي مثل هذا أورد بن الأزرق قوله: (قيل لبعضهم: من أرجح الملوك عقلاً وأكملهم أدباً وفضلاً. قال: من صحب أيامه بالعدل، وتحرز جهده من الجور، ولقي الناس بالمجاملة، وعاملهم بالمسالمة، ولم يفارق السياسة مع لين في الحكم، وصلابة في الحق، فلا يأمن الجريء بطشه، ولا يخاف البريء سطوته)[1].فانطلاقا من هذه الحكمة نقول لا بد للحاكم أن يكون ذا أفق واسع يرعى في تصرفاته مآلات الأمور وتبعاتها المستقبلية ، وأن يضع الأمور في نصابها ،وأن يعلم أن لكل حادثة حديث ولكل مقام مقال ، فالأكابر من أي صنف كانوا لهم أسلوب خاص للإنكار عليهم ونصحهم ، وردعهم عن المنكرات، ومن دونهم كذلك. ذلك أن الشريعة الإسلامية مبناها على رعاية المصالح وحمايتها، كما هو معروف لأنّ دَرْءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصَالِحِ ،وَدَفْعُ أَعْلَاهَا،بِأَدْنَاهَا) يَعْنِي أَنَّ الْأَمْرَ إذَا دَارَ بَيْنَ دَرْءِ مَفْسَدَةٍ وَجَلْبِ مَصْلَحَةٍ ، كَانَ دَرْءُ الْمَفْسَدَةِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَصْلَحَةِ[2].وكذلك في درر الحاكم جاء قوله: إذا تعارضت مفسدة ومصلحة يقدم دفع المفسدة على جلب المصلحة ، فإذا أراد شخص مباشرة عمل ينتج منفعة له، ولكنه من

---

[1] بدائع السلك في طبائع الملك (ج 41/1) ت/د.علي سامي النشار،ن/ وزارة الإعلام – العراق.،المؤلف/محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق(000 – 896 هـ = 000 – 1491 م)

عالم اجتماعي سلك طريقة ابن خلدون. من أهل غرناطة. تولى القضاء بها إلى أن استولى عليها الإفرنج، فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق ، وحج ورجع إلى مصر، وتوفي بالقدس. له كتب، منها (الإبريز المسبوك في كيفية آداب الملوك ،و(تخيير الرياسة وتحذير السياسة) قال الحوات: بأسلوب عجيب لم يؤلف فيه مثله. و (بدائع السلك في طبائع الملك في الرباط ، قال التنبكتي: لخص فيه كلام ابن خلدون في مقدمة تأريخه مع زوائد كثيرة لا يستغنى عنها بوجه.،انظر الأعلام (6/ 289) للزركلي ،معجم المؤلفين (11/ 43) عمر كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ).

[2] الموافقات (5/ 300) المؤلف/إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)،ت/ لمشهور بن حسن آل سلمان،ن/ دار ابن عفان،ط/1، 1417هـ/ 1997م،وانظر الأشباه والنظائر للسيوطي (ص: 87) لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)،ن/ دار الكتب العلمية،ط/1، 1411هـ – 1990م، والأشباه والنظائر للسبكي (1/ 105) تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: 771هـ)،ن/ دار الكتب العلمية،ط/1، 141،هـ– 1991م.

الجهة الأخرى يستلزم ضررا مساويا لتلك المنفعة أو أكبر منها يلحق بالآخرين، فيجب أن يقلع عن إجراء ذلك العمل درءا للمفسدة المقدم دفعها على جلب المنفعة؛ لأن الشرع اعتنى بالمنهيات أكثر من اعتنائه بالمأمور بها) [1].ويقول شيخ الإسلام رحمه الله مؤكدا قاعدة المصالح والفاسد: وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة، فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تزاحمت ، فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد، وتعارضت المصالح والمفاسد .فإن الأمر والنهي – وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر ، لم يكن مأمورا به، بل يكون محرما ، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته .لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة، فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها، وإلا اجتهد برأيه إذا كان من أهل الاجتهاد لمعرفة الأشباه والنظائر. وقل أن تعوز النصوص من يكون خبيرا بها وبدلالاتها على الأحكام[2] .فمن المصالح التي يرعاها الداعي إلى الله،أو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر،أو المربي ،أو القاضي ،عدم التدخل في خصوصيات الناس والتطفل عليهم ،باختراق حواجز بيوتهم،والتجسس عليهم ،وذلك لنهي الله عن التجسس؛المفسد على الناس أمنهم واستقرارهم،بالإضافة لما فيه من إحداث التشويش على النهج القويم الذي أمر الله به،لا سيما في عصرنا هذا الذي كثر فيه دعاة (العلمنة،والليبرالية)،أولئك النفر من أدعياء الإصلاح،ورعاية الحقوق والحريات،التي يقصدون بها الترك لتعاليم الإسلام في السياسة،والاقتصاد،والشؤون الاجتماعية:من مناكح، ومآكل،ومشارب،بل كل مناحي الحياة والممات التي أمر الله أن تكون وفق شرعه المطهر،الذي ارتضاه لعباده.قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[3] وهو الشرع الذي لا يأتيه الباطا من بين يديه ولا من خلفه،ذلك لأنه تنزيل من عند الحكيم العليم ،فما يسمونه حريات إنما هي أهواء،والله تعالى يقول في شأن الأهواء:

---

[1] درر الحكام في شرح مجلة الأحكام – (ج 1 / ص 58)مرجع سابق.

[2]. الحسبة (ص: 172)، لابن تيمية (المتوفى: 728 هـ)،حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود،ط/2، في 17جمادى الأولى 1425 هـ – الموافق 5/ 7/2004 م.

[3].[سورة الأنعام الآية: 162 – 163].

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[1].،والفرد المسلم عبد لله تعالى يجده حيث أمره،ولا يراه حيث نهاه،وحياته مضبوطة بأوامر الله ونهيه،ثم إن الحريات المزعومة ليس لها حدود تقف فيه إلا أن يكون تنحية لشريعة الله بالأهواء ،وعلى فرض التسليم بكلمة الحريات يجب أن يكون لها حدود تقف فيها وليست مطلقة ،فحرية كل إنسان تنتهي حيث شرع الله لنا ولا يجوز التعدي والخروج عما أمر الله باسم الحرية، أو أي صنم آخر،ثم إن مصطلح الحرية مصطلح وافد إلى الأمة من خارج محيطها وليس في هذا بأس أن نأخذ من الآخرين،ولكن المشكلة ألّا يتفق الوافد مع ديننا ،والمسلمون لهم ديانة، وعقائد، وأخلاق وقيم يؤمنون بها،وهي منزلة من قبل صاحب العرش ولا يسمح بالمساس بها لأهواء الناس التي يسمونها حريات،قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾[2]. ففي هذه الاية أمر لنبيه عليه السلام ولأمته بإلتزام الدين الحنيف ،دين الفطرة التي فطر الناس عليها،يقول السعدي رحمه الله[3]:يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يقول ويعلن بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين.

---

[1].[سورة الجاثية الآية: 18].

[2].[سورة الأنعام الآية: 161 – 163].

[3].تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص: 282) 1376هـ)،ت/ عبد الرحمن بن معلا اللويحق،ن/ مؤسسة الرسالة،ط/1، 1420هـ –2000 م.المؤلف/ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السَّعْدي التميمي(1307 – 1376 هـ = 1890 – 1956 م): مفسر، من علماء الحنابلة، من أهل نجد.مولده ووفاته في عنيزة (بالقصيم) وهو أول من أنشأ مكتبة فيها (سنة 1358) له نحو 30 كتابا، منها غير التفسير :(تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن) و(القواعد الحسان في تفسير القرآن) و(طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول)وغيرها..انظر: الأعلام للزركلي (3/ 340).

الفصل الثـاني

التشهير غير المشروع، بواعثه، وعلاجه

إن حكم التشهير في شرعنا الحنيف ليس على منوال واحد بل فيه تفصيل ؛وذلك لأنه شرع تتجلى فيه أسمى صور العدالة، ذلك أن مصدره أحكم الحاكمين، القائل سبحانه تعالى﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾[1] .وقال أيضاً:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2].فهو يدور بين المشروع ديانة وعقلا وفيه رعاية للمصالح العامة بالأمة والخاصة بالأفراد ومنه غير المشروع الذي لا يجوز الولوج فيه ولا تعاطيه بين الناس عامة وبين المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر بوجه خاص، وهذا هو الذي فيه تعدي وظلم،وانتهاك لحرمات الله وله أسباب كثيرة ،ويقع في خمسة مباحث:

المبحث الأول

الدعاية ضد الخصم في الدين والخلق والعلم والشرف

---

[1] سورة الأنعام الآية 152.

[2] سورة المائدة الآية 8.

ومن هذا ما اتهم به الأنبياء من الدعايات الكاذبة تنفيرا للناس من طريق الرسل والدعوة الحقة إلى دين الله، مثل إشاعتهم أن هؤلاء الرسل كذابون، وسحرة ، وكهنة، ومجانين،وأنهم يتكلمون بأساطير الأولين، وسخروا وهزؤوا ونشروا ذلك بين العباد سدا لهم من اتباع الرسل، وكان الله غالب على أمره،وقد حكى الله أقاويلهم في محكم التنزيل فقال:﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ٤ ﴾[1] وقال تعالى:﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١ ﴾[2]. اجتمع ناس من المنافقين فيهم: جلاس بن سويد بن صامت ومخشي بن حمير ووديعة بن ثابت فأرادوا أن يقعوا في النبي ﷺ فنهى بعضهم بعضا وقالوا: إنا نخاف أن يبلغ محمدا فيقع بكم فقال بعضهم: إنما محمد أذن نحلف له فيصدقنا وعندهم غلام من الأنصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا: لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فسمعها الغلام فغضب وقال: والله إن محمدا لصادق وإنكم لشر من الحمير ثم ذهب فبلغها النبي ﷺ فدعاهم فحلفوا بالله إن عامرا لكاذب وحلف عامر إنهم لكذبة فصدقهم النبي ﷺفقال عامر: اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب وقد كان مخشي بن حمير قال في ذلك المجلس: ويحكم يا معشر المنافقين والله إني لأرى أنا شر خلق الله وخليقته والله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة، وأنه لا ينزل فينا شيء يفضحنا فعند ذلك قالوا: والله إن كان محمد صادقا وقالوا: هو أذن قل أذن خير لكم)[3].

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحارث،

---

[1] سورة ص الآية 4.

[2] . سورة التوبة الآية: 61).

[3].تفسير القرآن العظيم(6/ 1826)،ت/ أسعد محمد الطيب،ن/ مكتبة نزار مصطفى الباز- السعودية، ط/3 – 1419هـ. المؤلف/ عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم ابن إدريس بن المنذر التميمي الحنظليّ الرازيّ، أبو محمد: حافظ للحديث، من كبارهم. كان منزله في درب حنظلة بالريّ، وإليهما نسبته.عاش في الفترة ما بين(240 – 327 هـ = 854 – 938 م) أخذ علم أبيه، وأبي زرعة، وكان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال والحديث الصحيح من السقيم، وله من التصانيف ما هو أشهر من أن يوصف في الفقه، والتواريخ، واختلاف الصحابة، والتابعين، وعلماء الأمصار.انظر الأعلام(3/ 324) لخير الدين الزركلي. والإرشاد في معرفة علماء الحديث(683/2) للخليلي.وطبقات الفقهاء الشافعية(534/1)لأبي عمرو ابن الصلاح(المتوفى: 643هـ).

وكان رجلا أدلم ثائر شعر الرأس أحمر العينين أسقع الخدين مشوه الخلقة، وقد قال النبي ﷺ:(من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل بن الحارث) وكان ينم حديث النبي ﷺ إلى المنافقين، فقيل له: لا تفعل، فقال: إنما محمد أذن فمن حدثه شيئا صدقه، فنقول ما شئنا ثم نأتيه ونحلف بالله فيصدقنا، فأنزل الله تعالى هذه الآيات السابقة[1].وأيّا كان من نزلت عليه الآيات فردا كان أم جماعة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب،وهو أن الكفرة حالهم دائما السخرية والهزأ بالأنبياء وأتباعهم من الأخيار.

وقال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[2].وقال أيضا:﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[3]

وجاء عن قتادة[4] في تفسير قوله:﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[5]،أهل الظنون)[6]، وعن عطاء[7]

---

[1].معالم التنزيل في تفسير القرآن (2/ 364) ،لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ) مرجع سابق.

[2] . سورة الأحزاب الآية: 57، 58).

[3] سورة الذاريات الآية 52.

[4] . قتادة بن دعامة السدوسي البصري الضرير الأكمه،قدوة المفسرين والمحدثين المتوفى سنة 117 هـ رحمه الله تعالى.

كان رأساً في العربية والغريب، وأيام العرب وأنسابها،وانظر طبقات المفسرين للأدنه وي (ص: 14)مرجع سابق، وطبقات المدلسين = تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس (ص: 43)لابن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)،ت/ د. عاصم بن عبدالله القريوتي،ن/ مكتبة المنار – عمان،،ط/1، 1403 – 1983).

،وطبقات النسابين (ص: 29) بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى: 1429هـ)،ن/ دار الرشد، الرياض،ط/1، 1407 هـ – 1987 م.

[5].(سورة الذاريات الآية : ١٠).

[6] جامع البيان في تأويل آي القرآن(ج22/ص400.)لأبي جعفر الطبري،مرجع سابق

[7].هو:عطاء بن أبي رباح واسم أبي رباح أسلم. وكان عطاء من مولدي الجند من مخاليف اليمن. نشأ بمكة. وهو مولى آل أبي ميسرة بن أبي خثيم الفهري، تابعي، ثقة، وكان مفتي أهل مكة في زمانه. انظر/ الطبقات الكبرى ط العلمية (6/ 20) لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ).،ت/ محمد عبد القادر عطا،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1، 1410 هـ – 1990 م.

وانظر/ الثقات للعجلي (ص: 332)ط /الباز.

﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ ﴾[1] قال:المشركون من قريش، عضُّوا القرآن فجعلوه أجزاء، فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: مجنون ، فذلك العِضُون[2]. وقالوا في حق موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾[3]،وقال: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴾[4] وكذلك لما أعيت فرعون الحيل بموسى عليه السلام نادى في قومه متكبرا ومتعاليا وساخرا ومشهرا بموسى عليه السلام ذلك أمام شعبه كما حكى الله عنه: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[5].وهذه بعض النماذج التوضيحية وقد آثرت أن تكون من أرض الواقع ،وهي على مطالب:

المطلب الأول

اتهام بنو إسرائيل لموسىﷺ بالعيب الخلقي

هو النبي الحيي المبرئ من العيوب وقد جاء في وصفه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال)[6]: قال رسول الله ﷺ إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياءا منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر، إلا من عيب بجلده: إما برص وإما أدرة[7]:وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملإ من بني

---

[1] . (سورة الحجر الآية: ٩١).

[2] المرجع السابق – (ج 17 / ص 146).

[3] سورة الأعراف 109–110.

[4] سورة غافر الآيتان 23–24.

[5].(سورة الزخرف الآيات 51–54).

[6].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (4/ 156) للإمام البخاري،مرجع سابق.

[7].الأُدْرَةُ بالضم نفخةٌ في الخُصْيةِ يقال رجل آدَرُ بَيْنُ الأَدَرِ، وقيل الأُدَرَةُ الخُصْيَةُ والخُصْيَةُ الأُدْراءُ العظيمةُ من غير فَتْقٍ ،انظر لسان العرب (1/ 44)لابن منظور.وتاج العروس (10/ 40) لمحمد بن محمد الزبيدي،مرجع سابق

إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر، فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه، ثلاثا أو أربعا أو خمسا، فذلك قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴾[1] وقد نهانا الله تعالى عن اقتفاء طرق بني إسرائيل والسير على نهجهم من مآذات الأنبياء وغيرهم من أصناف الناس كما هو موضح في هذه الآية وغيرها من مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ لِمَ تُؤۡذُونَنِي وَقَد تَّعۡلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ ﴾[2].وهذا الذي ذكر الله لنا في كتابه من شأن موسى ﷺ أنزل للعظة والعبرة والعمل به والحذر من سبل الهالكين،ومع هذا يكرر مثل هذا الموقف مرات عدة .

المطلب الثاني

اتهام امرأة العزيز يوسف عليه السلام

يوسف عليه السلام هوالكريم بن الكريم بن الكريم،قال الله تعالى:﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾[3] وكان ذلك منها كيدا ومكرا تغطية لسوءتها ودفنا لآثار جريمتها، ودافع يوسف عن نفسه ونفي التهمة بقوله:﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ ﴾[4]، وأعانه الله على البراءة بشهادة شاهد من أهلها،وعلم العزيز أن السوء في أهله وليس في يوسف وأمر يوسف بكتمان الأمر إلا أنّ الخبر انتشر في المجتمع لاسيما نساء الملأ، كما أخبر الله عنهن في قوله تعالى:﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[5] وحتى تهدأ الإشاعة وانتشار الخبر سجنوا يوسف عليه السلام، وهذا كان منهم ظلما على ظلم:﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴾[6] وفي الآية مسائل منها:أن زوج المرأة لما ظهر له

---

[1].(سورة الأحزاب الآية 69).

[2].(سورة الصف الآية 4).

[3] سورة يوسف الآية 25.

[4] . (سورة يوسف الآية:26)

[5] سورة يوسف الآية 30.

[6] سورة يوسف الآية 35.

براءة ساحة يوسف عليه السلام،ولم يتعرض له، فاحتالت المرأة بعد ذلك بجميع الحيل حتى تحمل يوسف عليه السلام على موافقتها على مرادها، فلم يلتفت يوسف إليها، فلما أيست منه احتالت في طريق آخر وقالت لزوجها: إن هذا العبد العبراني فضحني في الناس يقول لهم: إني راودته عن نفسه، وأنا لا أقدر على إظهار عذري، فإما أن تأذن لي فأخرج وأعتذر وإما أن تحبسه كما حبستني، فعند ذلك وقع في قلب العزيز أن الأصلح حبسه حتى يسقط عن ألسنة الناس ذكر هذا الحديث وحتى تقل الفضيحة، فهذا هو المراد من قوله: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ٣٥ ﴾[1] لأن البداء عبارة عن تغير الرأي عما كان عليه في الأول، والمراد من الآيات: براءته بقد القميص من دبر، وخمش الوجه، وإلزام الحكم إياها بقوله: ﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨ ﴾[2] ومن أدلة برا أته(ولقد راودته عن نفسه فاستعصم).وهذا تصريح بأنه عليه السلام كان بريئا عن تلك التهمة)وأيضا قوله:(ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) والمراد أن يوسف عليه السلام إن لم يوافقها على مرادها يعرض نفسه للسجن والصغار، ومعلوم أن التوعد بالصغار له تأثير عظيم في حق من كان رفيع النفس عظيم الخطر مثل يوسف عليه السلام) وهذه كلها أدلة بلغت مبلغ القطع ولكن القوم سكتوا عنها سعيا في إخفاء الفضيحة[3]، وحينها :﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ٤٢ ﴾[4] والحاصل أنّ معانات يوسف عليه الصلاة والسلام كان سببها الظلم والتجني، وهو بريء من هذه الجريمة الأخلاقية، التي نسبت إليه من قبل من يعرفون براءته.

المطلب الثالث

أذية جريج العابد رحمه الله

تندرج هذه القصة تحت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا

---

[1] سورة يوسف الآية 35.

[2] .سورة يوسف الآية: ٢٨).

[3].مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (18/ 452)بتصرف،لفخر الدين الرازي .

[4] [سورة يوسف الآية42].

مُّبِينًا ﴾[1]. وهو أحد عباد بني إسرائيل افترت عليه تلك البغي من بغايا بني إسرائيل،وجاء تفصيل قصته في الصحيحين وغيرهما؛فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:(كان رجل في بني إسرائيل يقال له جريج يصلي، فجاءته أمه، فدعته، فأبى أن يجيبها، فقال: أجيبها أو أصلي، ثم أتته فقالت: اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فقالت امرأة: لأفتنن جريجا، فتعرضت له، فكلمته فأبى، فأتت راعيا، فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما فقالت: هو من جريج، فأتوه، وكسروا صومعته، فأنزلوه وسبوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام، فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي، قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا، إلا من طين)[2]وفي صحيح مسلم زيادات منها(..فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا فَقَالَتْ إِنْ شِئْتُمْ لَأَفْتِنَنَّهُ لَكُمْ...)[3] فانظر أخي الكريم إلى هذا الكيد، وهذا التشويه الذي وقع لهذا العابد،ولكن عناية الله فوق كيد الكائدين،حيث أنجاه الله من الكيد.

المطلب الرابع

اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها (حادثة الإفك)

أوذي سيد ولد آدم محمد ﷺفي عرضه وأحب الناس إليه عائشة رضي الله عنها في الحادثة المشهورة بحادثة الإفك حيث اتهمت بصفوان بن المعطل عندما تخلفت عن الركب بسبب ضياع عقد لها، ووجدها صفوان في طريقه، وهو كان من المأمورين بالذهاب في خلفية الجيش لمهام أمنية وغيرها فلحق بها معززة مكرمة مصونة ،وعندما رآها المنافقون في هذه الحالة أشاعوا أذية بلا علم أنها وأنها...فتأذى من ذلك نبي الإسلام الطيب المطيب والطيبة المطيبة ، وأسرتها بل وكل المؤمنين والمؤمنات، وانتشى لمدة شهر الخبيثون والخبيثات، الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا،وبعد فترة للوحي لمدة شهر أنزل الله آيات من

---

[1] . [الأحزاب: 57، 58].

[2]. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (3/ 137) لأبي عبدالله البخاري ،كتاب المظالم والغصب ، باب: إذا هدم حائطا فليبن مثله ،حديث رقم(2482) (ج 8 / ص 381).

[3] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(4/ 1977)، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها ،حديث رقم (2550) ،للإمام مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ).

الذكر الحكيم توضح وبجلاء براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها ، كيف لا وهي، من هي! في علمها وفضلها وشرف نسبها ، واختيار المولى جلّ جلاله لها لتكون زوجة النبي المصطفى ﷺ في الدنيا والآخرة، وهي من أبعد الناس عن الريب وهذا ما أكده الله تعالى في سورة النور في الآيات من الحادية عشرة إلى السادسة والعشرين من قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾إلى قوله:﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] و(الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، والبهتان الذي لا تشعر به حتى يفاجئك، والذي تولى كبره هو زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، وقد برأها الله مما قذفها به المنافقون، كما برأ مريم العذراء مما قذفها به اليهود المغرضون، وأقيم حد القذف الشرعي على من روج هذا البهتان العظيم)[2]من المؤمنين الذين ضعفت نفوسهم أمام إشاعة عصبة الإفك والنفاق،حيث وجه إليهم المولى سبحانه وتعالى خطابه يعاتبهم ويبين لهم الموقف السليم الذي يجب أن يقفوه من مثل هذه الإشاعات الملفقة، التي يتحتم البحث عن مصدرها، والغرض المقصود منها، والتحري عنها من جميع الوجوه. ونفس هذا الخطاب موجه إلى جميع المؤمنين، بالنسبة لقصة الإفك ولجميع قصص الإفك الأخرى، التي يمكن أن تصدر عن أعداء الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان[3]، فقال تعالى:﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ

---

[1].(سورة الآية النور الآيات: ١١ – ٢٦) .

[2] . التيسير في أحاديث التفسير (4/ 251) لمحمد المكي الناصري (المتوفى: 1414هـ)مرجع سابق ،وانظر التفسير الوسيط (6/ 1372) – مجمع البحوث ، مصر القاهرة.

[3] .انظر نفس المرجع (4/ 252).

أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[1] وقد امتن الله على المؤمنين بفضله ورحمته عليهم،وإلا لمسهم عذاب عظيم،وذلك بسبب تداولهم لهذا الخبر السيئ الذي لايليق بعوام المسلمين فكيف بالطاهرة المطهرة المختارة لنبيه ﷺ وهم يحسبون ترويج الكذب على عرض ابنة الصديق وزوج الرسول أَمرًا خفيفًا سهل العاقبة، والحال أَنه عند الله أمر عظيم في إثمه وسوء عاقبته، فالقدح في الأَعراض شين عظيم، وإثم كبير، فكيف به في عرض أم المؤمنين، وزوج خاتم المرسلين،ومن لطائف حادثة الإفك التي تمثل قمة الإيمان السمو الأخلاقي،وعفة اللسان والقلب عما يشين من الخواطر،وحصائد الألسن،ما دار بين أبي أيوب وزوجه الكريم،حيث سألته عما يدور بين الناس من قصة الإفك،فسألها سؤال يتضمن الإجابة: فعن محمد بن عمرو عن أبيه عن بعض الأنصار أن امرأة أبي أيوب قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا فقال لها : يا أم أيوب أكنت تفعلين ذاك فقالت لا والله فقال فعائشة والله خير منك وأطيب فأنزل الله عز وجل:﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ ﴾ يعني قول أبي أيوب لأم أيوب وكان أبو أيوب قال لها إن الذين قالوا لها هو إفك)[2]،واستأذن ابن عباس قبل موتها على عائشة وهي مغلوبة، قالت: أخشى أن يثني علي، فقيل: ابن عم رسول الله ﷺ ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال:(فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرا غيرك، ونزل عذرك من السماء)ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت:(دخل ابن عباس فأثنى علي، ووددت أني كنت نسيا منسيا)[3]وهذا من تواضعها ﵂ عنها وعن أبيها، وإلا كانت من أحب نساء رسول اللهﷺ إليه ،وقد جاء الملك إلى رسول الله عندما اختارها له زوجة بصورتها، فعن ابن أبي مليكة عن عائشة:أن جبريل جاء بصورتها

---

[1] . (سورة النور الآيات: ١٢ – ١٨).

[2] . مسند إسحاق بن راهويه (3/ 978) إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي، ن/ مكتبة الإيمان – المدينة المنورة ،ط/1 ، 1412 – 1991ت/ د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي،وانظر وتاريخ المدينة لابن شبة (1/ 335)، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: 262هـ)ت/ فهيم محمد شلتوت ،ط/ السيد حبيب محمود أحمد – جدة، عام/ن 1399 هـ.

[3] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (6/ 106) للبخاري، كتاب تفسير القرآن ،باب (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) سورة النور الآية: 16)حديث رقم (4753) ، سابق مرجع.

في خرقة حرير خضراء إلى النبي ﷺ فقال إن هذه زوجتك في الدنيا والآخرة)[1]،وسئل رسول الله ﷺ عن أحب الناس إليه فقال: (عائشة) كما جاء عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، قِيلَ: مِنَ الرِّجَالِ. قَالَ: «أَبُوهَا»، ويكفي أن الله أظهر براءتها في القرآن الكريم،الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،والطاعن في أم المؤمنين عائشة يعد طاعنا في القرآن العظيم، ومن صدر منه الطعن في القرآن فهو كافر،ولذا فإن أحفاد ابن سلول،وابن سبأ لهم نصيب من هذا الكلام ،شأو أم أبوا، وأن الروافض الذين يطعنون في عائشة بمنزلة اليهود الذين يطعنون في مريم عليها السلام)[2].

والرسولﷺ قال: فيما رواه عنه أبو موسى ﷺ، قال: قالوا يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟ قال: «من سلم المسلمون من لسانه، ويده»[3]،وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ "إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يرى بها بأسا، فيهوي بها في نار جهنم سبعين خريفا)[4]،ولذا قال : لمعاذ ﷺ وقد أخذ بلسانه، قال :(كف عليك هذا)[5].وقد بين الله تعالى من خلال هذه الآيات الآداب التي يجب أن يتخلق بها أفراد المجتمع ، الكبير والصغير والذكر والأنثى، حتى لا يبغي أحد على أحد، ومن ذلك التثبت والتبين ، والظن الحسن بالمؤمنين والمؤمنات، والبعد عن إشاعة الفاحشة بين المؤمنين ، والأمر بالتسامح والعفو ، وحفظ الجوارح عمّا يسيئ للناس ويضر صاحب الجارحة في الدنيا والآخرة، وفي إحدى هذه المقاطع من هذه الآيات التي دافعت عن الفضيلة يقول الله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ

---

[1] . الجامع الصحيح سنن الترمذي (5/ 704)/ لأبي عيسى الترمذي، أبواب المناقب ،باب من فضل عائشة رضي الله عنها،حديث رقم(3880).

[2]. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (11/ 259)للرازي بتصرف،مرجع سابق.

[3] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(1/ 11) كتاب الإيمان ، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، حديث رقم(10)،وانظر المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(65/1)كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، حديث رقم (40).

[4] . سنن الترمذي (4/ 557)أبواب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس،حديث رقم (2314)مرجع سابق.

[5] . مسند أحمد (36/ 345)من حديث معاذ بن جبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)،ت/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون،الناشر/مؤسسة الرسالة،ط/1، 1421 هـ – 2001 م.

ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾[1] .يقول الإمام الرازي[2] في تفسيره:(اعلم أنه سبحانه لما بين ما على أهل الإفك وما على من سمع منهم ، وما ينبغي أن يتمسكوا به من آداب الدين أتبعه بقوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ ﴾ليعلم أن من أحب ذلك فقد شارك في هذا الذم كما شارك فيه من فعله ومن لم ينكره ، وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه ، فكذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين كوجوب كف الجوارح والقول عما يضربهم ثم فرع من ذلك مسائل منها:المسألة الثانية :قال فيها:(لا شك أن ظاهر قوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴾يفيد العموم وأنه يتناول كل من كان بهذه الصفة ، ولا شك أن هذه الآية نزلت في قذف عائشة إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فوجب إجراؤها على ظاهرها في العموم،ومما يدل على أنه لا يجوز تخصيصها بقذفة عائشة قوله تعالى:﴿ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾فإنها صيغة جمع ولو أراد عائشة وحدها لم يجز ذلك ، والذين خصصوه بقذفة عائشة منهم من حمله على عبد الله بن أبي ، لأنه هو الذي سعى في إشاعة الفاحشة قالوا معنى الآية :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ ﴾والمراد عبد الله أن تشيع الفاحشة أي الزنا في الذين آمنوا أي في عائشة وصفوان).

وقال ابن عاشور[3]:(لما حذر الله المؤمنين من العود إلى مثل ما خاضوا به من الإفك على جميع أزمنة المستقبل أعقب تحذيرهم بالوعيد على ما عسى أن يصدر منهم في المستقبل بالوعيد على محبة شيوع الفاحشة في المؤمنين ؛ فالجملة استئناف ابتدائي ، واسم الموصول

---

[1] سورة النور الآية19.

[2]. مفاتيح الغيب (ج 11 / ص 279)لفخر الدين الرازي،مرجع سابق..

[3]. التحرير والتنوير . (18/ 184)،ن/ دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – 1997 م،والكتاب/لمحمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس.و بها كان مولده ووفاته ودراسته.عاش في الفترة(1296 – 1393 هـ = 1879 – 1973 م)،وعين (عام 1932) شيخا للإسلام مالكيا.له مصنفات مطبوعة،من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و(الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجلات.وانظر الأعلام (6/ 174)لخير الدين للزركلي.

يعم كل من يتصف بمضمون الصلة فيعم المؤمنين والمنافقين والمشركين ، فهو تحذير للمؤمنين وإخبار عن المنافقين والمشركين .وجُعل الوعيد على المحبة لشيوع الفاحشة في المؤمنين تنبيهاً على أن محبة ذلك تستحق العقوبة لأن محبة ذلك دالة على خبث النية نحو المؤمنين . ومن شأن تلك الطوية أن لا يلبث صاحبها إلا يسيراً حتى يصدر عنه ما هو محب له أو يُسَرّ بصدور ذلك من غيره ، فالمحبة هنا كناية عن التهيؤ لإبراز ما يحب وقوعه . وجيء بصيغة الفعل المضارع للدلالة على الاستمرار . وأصل الكناية أن تجمع بين المعنى الصريح ولازمه فلا جرم أن ينشأ عن تلك المحبة عذاب الدنيا وهو حد القذف وعذاب الآخرة وهو أظهر لأنه مما تستحقه النوايا الخبيثة).

المطلب الخامس

رمي اليهود مريم عليها السلام

قال الله تعالى:﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴾[1] يعني:أنهم رموها بالزنا[2].وعن قتادة في قوله تعالى:﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ ﴾[3]وظاهر من الآية: أنهم رموها وابنها بالعظائم،

---

[1].(سورة النساء الآية: ١٥٦).

[2] . جامع البيان في تأويل آي القرآن (9/ 367)لابن جرير الطبري،مرجع سابق، وتفسير القرآن العظيم (2/ 448) لابن كثير ،مرجع سابق،وانظر زاد المسير في علم التفسير (1/ 494) لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن الجوزي القرشي التيمي البكري، البغدادي، الحنبلي، الواعظ، ،من ولد عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. مولده ووفاته ببغداد (508 – 597 هـ = 1114 – 1201 م) ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محال بغداد،وهو صاحب تصانيف في فنون العلم من التفسير والفقه والحديث والوعظ والتاريخ، قال عنه الذهبي: كان مبرزاً في التفسير، وفي الوعظ، وفي التاريخ، ومتوسطاً في المذهب، وفي الحديث، له إطلاع تام على متونه، وأما الكلام على صحيحه وسقيمه فما له فيه ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين. ، له نحو ثلاث مئة مصنف، منها: (الناسخ والمنسوخ ، تلبيس إبليس ، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن ، والمنتظم في تاريخ الملوك)وغيرها.ت/ عبد الرزاق المهدي،ن/ دار الكتاب العربي - بيروت ،ط/1، – 1422 هـ.انظر/ تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية (15/ 238) /لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)،ن/دار الكتب العلمية – بيروت،دراسة وتحقيق/مصطفى عبد القادر عطا،الطبعة: الأولى، 1417 هـ.، وتاريخ الإسلام (13/ 925) للذهبي، مرجع سابق، وأيضا: سير أعلام النبلاء (15/ 455)مرجع سابق، وطبقات المفسرين للسيوطي (ص: 61). الأعلام للزركلي (3/ 316).

[3] سورة مريم الآية 27،28).

فجعلوها زانية، وقد حملت بولدها من ذلك –زاد بعضهم: وهي حائض–فعليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة[1]،وقد علموا أنها كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح،ولا يُعرفون بالفساد ، وكان هارون مصلحا محببا في عشيرته، وليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر. قال: وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا، كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل[2].والمعنى كما قال بن كثير﴿ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ ﴾[3] أي:أمرًا عظيمًا.﴿ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ ﴾ أي:يا شبيهة هارون في العبادة﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴾أي:أنت من بيت طيب طاهر، معروف بالصلاح[4] وفي هذا الكلام اتهام لها بشكل مبطن بإتيان الفاحشة التي لم تعرف في نسلها. فمعنى﴿ ٱمْرَأَ سَوْءٍ ﴾ رجل عمل مفسد،.. وعنوا بهذا الكلام الكناية عن كونها أتت بأمر ليس من شأن أهلها ، أي أتت بسوء ليس من شأن أبيها وبغاء ليس من شأن أمّها ، وخالفت سيرة أبويها فكانت امرأة سوء وكانت بغياً؛ وما كان أبوها امرأ سوء ولا كانت أمها بغياً فكانت مبتكرة الفواحش في أهلها. وهم أرادوا ذمّها فأتوا بكلام صريحه ثناء على أبويها مقتض أن شأنها أن تكون مِثل أبويها[5]. وفي قوله تعالى:﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ﴾[6] نَسَبُوا مَرْيَمَ إِلَى الزِّنَا، فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ وَبِكُفْرِهِمْ هُوَ إِنْكَارُهُمْ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَبِقَوْلِهِ وَقَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً ﴾ نِسْبَتُهُمْ إِيَّاهَا إِلَى الزِّنَا، وَلَمَّا حَصَلَ التَّغَيُّرُ لَا جَرَمَ حَسُنَ الْعَطْفُ، وَإِنَّمَا صَارَ هَذَا الطَّعْنُ بُهْتَانًا عَظِيمًا لِأَنَّهُ ظَهَرَ عِنْدَ وِلَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ مَا دَلَّ عَلَى بَرَاءَتِهَا مِنْ كُلِّ

---

[1] .انظر تفسير القرآن العظيم (2/ 448)لابن كثير المرجع السابق.

[2] جامع البيان في تأويل آي القرآن – (ج 18 / ص 186) المرجع السابق.

وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان(ج 26 / ص 40) كتاب التاريخ،ذكر البيان بأن بني إسرائيل كانوا يسمون في زمانهم بأسماء الصالحين قبلهم ،/لمحمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، ت/ شعيب الأرنؤوط.،ن/ مؤسسة الرسالة – بيروت،ط/2 ، 1414 – 1993.

[3] .(سورة مريم لآية : ٢٧).

[4] .تفسير القرآن العظيم – (ج 5 / ص 226) لابن كثير رجع سابق..

[5] .التحرير والتنوير . الطبعة التونسية (16/ 96) مرجع سابق.

[6].(سورة النساء الآية: ١٥٦).

عَيْبٍ، نَحْوَ قَوْلِهِ :﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[1].وَنَحْوَ كَلَامِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَالَ كَوْنِهِ طِفْلًا مُنْفَصِلًا عَنْ أُمِّهِ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ دَلَائِلُ قَاطِعَةٌ عَلَى بَرَاءَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ كُلِّ رِيبَةٍ ، فَلَا جَرَمَ وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى طَعْنَ الْيَهُودِ فِيهَا بِأَنَّهُ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، وَكَذَلِكَ وَصَفَ طَعْنَ الْمُنَافِقِينَ فِي عَائِشَةَ بِأَنَّهُ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ حَيْثُ قَالَ:﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[2]، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّوَافِضَ الَّذِينَ يَطْعَنُونَ فِي عَائِشَةَ بِمَنْزِلَةِ الْيَهُودِ الذين يطعنون في مريم عليها السلام)[3] ،والحق أن مريم لم تغير، ولم تبدل،ولم تدنس عرضها وشرفها،وهي البريئة الطاهرة التي تربت،ونشأت على التقى في بيت زكريا،ومن علامة ولايتها أن رزقها كان يأتي إليها صباحا ومساءا من غير كدّ ولا تعب، عطاءا من عند الله،قال الله: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًاۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾[4] ،وقد قال الله في شأنها:﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[5] وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»)[6].فهذا يدل على شرفها وعلو منزلتها عند الله .

---

[1] . (سورة مَرْيَمَ الآية: 25).

[2] .(سورة النُّور الآيةِ: 16).

[3] . مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (11/ 259) لفخر الدين الرازي،مرجع سابق.

[4] . سورة آل عمران الآية: 37).

[5] سورة التحريم الآية12.

[6] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ، (5/ 29) ،باب فضائل أصحاب النبي ﷺ،باب فضل عائشة رضي الله عنها،حديث رقم (3769).،والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسولﷺ (4/ 1886)- كِتَاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ، بَاب فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ،حديث رقم:(2431).

المطلب السادس

أذية أهل الكوفة لسعد بن أبي وقاص الزهري[1] ﷺ

كان عمر رضي الله عنه يتخير ولاته أحسن اختيار ،بما آتاه الله من الحكمة والحنكة فوق أنه ذو الفراسة الصادقة التي شهد بها الذي لا ينطق عن الهوىﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: (إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب)[2]،وقد ثبتت عدالة أصحاب النبي ﷺ في نصوص كثيرة في القرآن الكريم،والسنة المطهرة ،منها قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[3]،فهم أهل تراحم فيما بينهم ،وبين رعاياهم من المسلمين،وأهل بأس وشدة على الكافرين المعتدين،ومن صفاتهم الثابتة في الكتب المقدّسة، أنهم أهل خشوع ،وركوع وسجود،إخلاصاً لله وابتغاء رضوانه،يعرفون بسمتهم،وهديهم، ومع هذا فقد كان التقول والتشهير والأذية من بعض أفراد الرعية، ومن هذا ما روى جابر بن سمرة قال: قال: شكا أهل الكوفة سعدا إلى

---

[1] . هو الصحابي الجليل/ سعد بن مالكﷺ وهو سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن وهيب، وقيل: أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القشي الزهري يكنى أبا إسحاق وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس، وقيل: حمنة بنت أبي سفيان بن أمية.أسلم بعد ستة، وقيل: بعد أربعة، وكان عمره لما أسلم سبع عشرة سنة.روي عنه أنه قال: أسلمت قبل أن تفرض الصلاة، وهو أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺبالجنة، وأحد العشرة سادات الصحابة، وأحد الستة أصحاب الشورى، الذين أخبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺتوفي وهو عنهم راض.شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺوأبلى يوم أحد بلاء عظيما، وهو أول من أراق دما في سبيل الله، وأول من رمى بسهم في سبيل الله..انظر أسد الغابة ط العلمية (2/ 452)لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى:630هـ)،ن/دار الفكر- بيروت،1409هـ-1989م، ونظر سير أعلام النبلاء ط الرسالة(93/1)للذهبي.

[2] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (4/ 174) لأبي عبدالله البخاري، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه،حديث رقم (3689)مرجع سابق.

[3].(سورة الفتح الآية: ٢٩)

عمر رضي الله عنه، فعزله، واستعمل عليهم عمارا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله «فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين»، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلا أو رجالا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدا إلا سأل عنه، ويثنون معروفا، حتى دخل مسجدا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعونّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا، قام رياء وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد، قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن)1،ولا يحيق المكر السيئ إلاّ بأهله،فما جري لهذا الرجل كان عقابا من الله له على تقوله على هذا الصحابي الجليل أحد العشرة المشرين بالجنة ، وخال ﷺالذي كان يفخر به وفداه بأمه وأبيه2. والسعيد من وعظ بغيره.

---

[1]. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (1/ 151)للإمام البخاري حديث رقم:(755)،كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت .

[2] صحيح البخاري – (كتاب الجهاد والسير، باب الْمِجَنِّ ومن يَتَّرِسُ بِتُرْسِ صاحبه ،ج 10 / ص 38).

المطلب السابع

أذية أهل حمص لسعيد بن عامر[1] ﷺ

أهل حمص كانوا قريبين في طباعهم من أهل الكوفة ، ولذلك حصل منهم تجني على والى آخر من ولاة عمر ﷺ ، فقد أخرج أبو نعيم في الحلية عن خالد بن معدان قال: استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي رضي الله عنه. فلما قدم عمر بن الخطاب حمص قال: يا أهل حمص، كيف وجدتم عاملكم؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص الكُوَيفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا: نشكوا أربعاً: لا يخرج إلينا حتى يتعالَى النهار. قال: أعْظِم بها. قال: وماذا قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال: وعظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا. قال: عظيمة. قال: وماذا؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام . يعني تأخذه مُوتَة ..قال: فجمع عمر رضي الله عنه بينهم وبينه وقال: اللهمّ لا تفل رأيي فيه اليوم، ما تشْكون منه؟ قالوا: لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار. قال: والله إن كنت لأكره ذكره؛ ليس لأهلي خادم، فأعجن عجيني، ثم أجلس حتى يختمر، ثم أخبز خبزي، ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم. فقال: ما تشْكون منه؟ قالوا: لا يجيب أحداً بليل. قال ما تقول؟ قال: إن كنت لأكره ذكره؛ إنّي جعلت النهار لهم، وجعلت الليل لله عزّ وجلّ. قال: وما تشكون؟ قالوا: إنَّ له يوماً في الشهر لا يخرج إلينا فيه. قال: ما تقول؟ قال: ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبلها. قال: ما تشكون منه؟ قالوا: يغنظ الغنظة بين الأيام. قال: ما تقول؟ قال: شهدت مصرع خُبَيب الأنصاري رضي الله عنه بمكة، وقد بضَّعت قريش لحمه، ثم حملوه على جذع فقالوا؛ أتحب أن محمداً مكانك؟ فقال: والله ما أحب أنّي في أهلي وولدي وأن محمداً ﷺ شِيك بشوكة، ثم نادى: يا محمد، فما ذكرت ذلك اليوم، وتَرْكي نُصرته

---

[1] .سعيد بن عامر بن حذيم بن سلامان بن ربيعة بن سعد بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب. وأمه أروى بنت أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. ولم يكن لسعيد ولد ولا عقب، ومات سعيد بن عامر سنة عشرين في خلافة عمر بن الخطاب. ولاه عمر بن الخطاب على حمص وما يليها من الشام. وكتب إليه كتابا يوصيه فيه بتقوى الله والجد في أمر الله والقيام بالحق الذي يجب عليه ويأمره بوضع الخراج والرفق بالرعية. فأجابه سعيد بن عامر على نحو من كتابه،انظر الطبقات الكبرى ط العلمية (4/ 203)،وانظر لمعرفة تأريخ الوفات الطبقات (5/ 93)ط/ مكتبة الخانجي. والأعلام للزركلي (3/ 97).

في تلك الحال، وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم؛ إلا ظننت أن الله عزّ وجلّ لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً. قال: فتصيبني تلك الغنظة. فقال عمر: الحمد لله الذي لم يفل فراستي[1].

المطلب الثامن

أذية وشكاية أهل البحرين للمغيرة[2]ﷺ

ونفس الجناية تحصل من أهل البحرين مع صحابي ثالث، وذلك مع ما نعرفه من عدالة الصحابة وفضلهم وقيامهم بالواجبات، ومعرفتهم للحقوق، وأدائهم لها، إلا أن السلامة من الناس شيء عزيز، كما قال الشافعي : رضى الناس غاية لا تدرك)[3] فقد أخرج البغوي من طريق زيد بن أسلم عن أبيه قال: استعمل عمر المغيرة على البحرين فكرهوه وشكوا منه فعزله فخافوا أن يعيده عليهم فجمعوا مائة ألف فأحضرها الدهقان إلى عمر فقال: إن المغيرة اختان هذه فأودعها عندي فدعاه فسأله فقال: كذب إنما كانت مائتي ألف فقال: وما حملك على ذلك؟ قال: كثرة العيال. فسقط في يد الدهقان فحلف وأكد الأيمان أنه لم يودع عنده قليلاً ولا كثيراً فقال عمر للمغيرة: ما حملك على هذا؟ قال: إنه افترى علي فأردت أن أخزيه[4].

---

[1] الفتنة في عهد الصحابة – (1 / 105) علي بن نايف الشحود.

[2].المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف. ويكنى أبا عبد الله. وأول مشاهده الحديبية. وولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها وولاه بعد ذلك الكوفة فقتل عمر وهو على الكوفة. فعزله عثمان بن عفان عنها وولاها سعد بن أبي وقاص. فلما ولي معاوية الخلافة ولى المغيرة بن شعبة الكوفة فمات بها في خلافة معاوية، ولد،وتوفي،في(20 ق هـ – 50 هـ = 603–670 م)،وكان يقال له مغيرة الرأي. وكان داهية لا يشتجر في صدره أمران إلا وجد في أحدهما مخرجا،وجاء في الإصابة:وقال قبيصة بن جابر: صحبت المغيرة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج المغيرة من أبوابها كلها.،انظر/ الطبقات الكبرى (6/ 97) لابن سعد (المتوفى: 230هـ)،ت/ محمد عبد القادر عطا،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1، 1410 هـ – 1990 م، الإصابة في تمييز الصحابة (6/ 157) لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)،ت/ عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1 – 1415 هـ.
،والأعلام للزركلي (7/ 277).

[3] . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،تأليف (9/ 123) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)،ن/دار السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ – 1974م.

[4] الفتنة في عهد الصحابة – (1 / 105) علي بن نايف الشحود..

المطلب التاسع

تشهير السبئية بعثمان ﷺ[1]

ومن أمثلة وقائع التشهير بالإضافة إلى ما سلف ما كان من بعض الفرق الضالة الذين أساؤ اللصحابة، وظنوا بهم ظن السوء ،ووقعوا في أعراضهم وأنفسهم وديانتهم؛ وإقذائهم باللعن، ذلك مع شهادة الله لهم بالعدالة والخيرية،في مثل قوله:﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾[2] وفي قوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3] ،وفي قوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي

---

[1].**السبئية:**هم أصحاب عبد الله بن سبأ يزعمون أن عليا لم يمت وأنه يرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلا ،ومنهم من يزعم أن الله وكل الأمور إلى محمد ﷺ فخلق الدنيا ودبرها ويزعمون أن الأئمة ينسخون الشرائع وتهبط عليهم الملائكة بالوحي،ومنهم من يسلم على السحاب ويقول إذا مرت سحابة إن عليا فيها، ،أنظر/ المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال(ص: 101) للإمام/ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)،ت/ محب الدين الخطيب.،ونظر/ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص: 18) ،تأليف/ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني (المتوفى: 377هـ)،ت/ محمد زاهد بن الحسن الكوثري،ن/ المكتبة الأزهرية للتراث – مصر.

وقال الشاطبي: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، الذي غلا في علي رضي الله عنه، وادعى أن علياً كان نبياً ثم زعم أنه إله، وقال له: أنت أنت. يعني أنت الإله. وزعم أن علياً لم يمت وأنه يجيء في السحاب والرعد صوته، والبرق تبسمه، وأنه سيرجع إلى الأرض فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً.وهم أول فرقة قالت بالغيبة والرجعة، وبتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رضي الله عنه)أنظر/ الاعتصام للشاطبي (3/ 350) تأليف/ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، أصولي حافظ، محدث، فقيه ، لغوي من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية،من كتبه (الموافقات في أصول الفقه و(المجالس) شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، ، ت/ الشقير، والحميد، والصيني ،ن/دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية،ط/ 1، 1429 هـ – 2008 م،انظر لترجمة المؤلف/ الأعلام (1/ 75) لخير الدين للزركلي ، ومعجم المؤلفين (1/ 118)عمر كحالة.

[2].(سورة الفتح الآية:18)

[3].(سورة التوبة:الآية100).

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾[1] الآية،ومن هؤلاء المسيئين للصحابة السبئيون الذين ألّبوا الأمصار على الخليفة الراشد ذو النورين عثمان ﷺالذي شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة، حيث اتهمهوه فيها بالتقصير في حق الرعية والانحياز لأهله وعشيرته من بني أميّة في الولايات والأعطيات وغيرها من الاعتراضات والمآخذ، وتكالب عليه الرعاع وأهل الفتنة من المتآمرين حتى قتلوه في بيته مظلوماً وهو صائم يقرأ القرآن وكان ضحية التشهير وقالة السوء الظلومة الغشومة ولو كان يسلم منها أحد لسلم منها هو أمثاله من الأخيار، بل لم يسلم منها حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما ذكرنا آنفا .وذو النورين عثمان ﷺ الذي أشاعوا عنه قالة السوء؛هو الرجل الذي جاء في مناقبه:أنّ النبي ﷺ شهد له بأنه شهيد وأخبرﷺ باستحياء الملائكة الكرام منه إجلالا واحتراما وضرب له بسهمه وأجره يوم بدر ،وضربﷺ بيده اليمنى على اليسرى عنه في بيعة الرضوان ،وزوجه بابنتيه رضي الله عنهما ، ثم قال:لو كان عندي ثالثة لزوجتكها ،مع ما اشتهر من جمعه لمصاحف القرآن، ومواظبته على تلاوته ،وكثرة الصيام والقيام ، وشفقته على الأمة بوضع السلاح تورعا منه على سفك الدماء ، وصدقاته المشهورة ؛ كتجهيز جيش العسرة وحفر بئر (رومة) الموعود عليها بالجنة [2] .ومن مناقب عثمان الدالة على مكانته أيضا ما روى أبو هريرةﷺ، أن النبي ﷺ لقي عثمان عند باب المسجد، فقال: "يا عثمان، هذا جبريل أخبرني أن الله قد زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية، على مثل صحبتها")[3].وعن سعيد بن المسيب قال: " آمت[4] حفصة من زوجها، وآم عثمان من رقية، فمر عمر بعثمان فقال: هل

---

[1].(سورة الفتح: الآية29)

[2] . حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ط دار الحاوي (ص: 416)، محمد بن عمر بحرق الحضرمي الشافعي،سنة الولادة 869هـ / سنة الوفاة 930هـ ،ت/ محمد غسان نصوح عزقول ،ن/ دار الحاوي ،1998م ـ بيروت،وانظر الخميس في أحوال أنفس النفيس (2/ 140)، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: 966هـ)،ن/ دار صادر – بيروت ـ ط...، والرحيق المختوم (ص: 403) صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: 1427هـ)،ن/ دار الهلال – بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)،ط/ 1.

[3].سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط (1/ 80).

[4] . تهذيب اللغة (15/ 446) لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، وَقد آمت الْمَرْأَة تَئِيم أَيْمةً وأَيْماً؛وتأيَّم الرّجُلُ زَمَانا، وتأيَّمت الْمَرْأَة، إِذا مَكَثا أيّاماً وزماناً لَا يتزَوَّجان.،وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر (1/ 85).

لك في حفصة فقد انقضت عدتها فلم يجب إليه شيئا، فأتى النبي ﷺفذكر ذلك له، قال: «فأنا أتزوج حفصة، وأزوج عثمان أختها أم كلثوم» قال: فقال عمر: فنعم فتزوج رسول الله ﷺحفصة، وتزوج عثمان أم كلثوم)1 وعن أبي هريرة قال : دخلت على رقية ابنة رسول الله ﷺامرأة عثمان بن عفان وفي يدها مشط فقالت خرج من عندي رسول الله ﷺ آنفا رجلت رأسه فقال كيف تجدين أبا عبد الله قلت كخير الرجال قال أكرميه فإنه من أشبه أصحابي بي خلقا)2.والآثار في فضل عثمان ﷺكثيرة منها: ما رواه قتادة، أن أنس بن مالك رضي الله عنه، حدثهم أن النبي ﷺصعد أحدا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «اثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان»،ومنها(أن عثمان رضي الله عنه حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ،ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺقال:«من حفر رومة فله الجنة»؟ فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة»؟ فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال)[3].وعن عبد الله بن أحمد[4]. قال حدثني أبي قال حدثتنا أم عمر بنت حسان بن يزيد أبي الغصن قال أبي وكانت عجوز صدق قالت حدثني أبي قال دخلت المسجد الأكبر مسجد الكوفة قال وعلي بن أبي طالب قائم على المنبر يخطب الناس وهو ينادي بأعلى صوته ثلاث مرار : يا أيها الناس يا أيها الناس يا أيها الناس إنكم تكثرون في عثمان فإن مثلي ومثله كما قال الله عز وجل:﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ ﴾[5] .فهذا هو علي لا يريد من أحد أن يسيئ على رجل هو

---

[1]. مسند إسحاق بن راهويه . (4/ 202) باب ما يروى عن حفصة زوج النبي ﷺ،حديث رقم(25 – 2006).،وهو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي،ن/ مكتبة الإيمان – المدينة المنورة،ط/1 ، 1412 – 1991،ت/ د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي.

[2]. فضائل الصحابة (1/ 510) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)،، ت/ د. وصي الله محمد عباس،ن/ مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/1، 1403 – 1983.

[3].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (4/ 13)للإمام البخاري، كتاب المناقب باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ،باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه ، وانظر الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم(1/ 73) تأليف: محمد بن فتوح الحميدي دار النشر/ دار ابن حزم – لبنان/ بيروت – 1423هـ– 2002م، ط/2،وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (1/ 453)مرجع سابق.

[4] . فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل (1/ 453)المرجع السابق.

[5] . (سورة الحجر: 47).

محبوب لديه إلى حد تشبيهه لهذا الحب بحب أهل الجنة بعضهم لبعض،فماذا ينقم مدعي حب آل بيت رسول اللهﷺ.وانظر أيضا أخي القارئ الكريم ما الصحيح:(أن المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، قالا: ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد، فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لي إليك حاجة، وهي نصيحة لك، قال: يا أيها المرء – قال معمر أراه قال: أعوذ بالله منك – فانصرفت، فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان فأتيته، فقال: ما نصيحتك؟ فقلت: " إن الله سبحانه بعث محمدا ﷺبالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، فهاجرت الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ، ورأيت هديه وقد أكثر الناس في شأن الوليد، قال: أدركت رسول الله ﷺ؟ قلت: لا، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها، قال: أما بعد، فإن الله بعث محمدا ﷺبالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمنت بما بعث به، وهاجرت الهجرتين، كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺوبايعته، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد، فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله، ثم دعا عليا، فأمره أن يجلده فجلده ثمانين)[1] "فهذه هي الشهادة المستفيضة والمتواترة لعثمان،وقد جاءت في أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى،وقد أجمع من يعتد بخلافه على صحته وتلقته الأمة بالقبول، فلا يضر بعد ذلك ،طعن أهل الزيغ والإلحاد، ومن وافقهم من ضعفاء المسلمين،وهذه سنة الله في خلقه.

ثم إنّ التشهير بالصحابة والإساءة إليهم تكررت من أحفاد السبئية والروافض والخوراج ومن شابههم من أهل الزيغ والانحراف،والضلال من القدامى والمحدثين، ،ومن أشهر من وقع في الصحابة وجعل دينه وديدنه سب أصحاب رسول اللهﷺ الفرق الشيعية ومن أبرزهم،وأكثرهم مغالات في الاقذاء على الصحابة ومن سلك سبيلهم، الإمامية الاثنية عشرية والذين يطلق عليهم في كتب أهل السنة (الروافض).وهم طوائف، انشطارية كثيرة،تقع بينهم الانقسامات،والخصومات،وهم أهل مذمة في كتب أهل العلم، ومن ذلك ما أورده نصير الدين

[1] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (5/ 14)للإمام البخاري، كتاب المناقب ، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه،حديث رقم:(3696).

المكي: عن بعض فرقهم:وهو قوله: اعلم أن مذهب الروافض مشابه لمذهب اليهود والنصارى والمجوس والصابئين، وهم عبدة الكواكب.أما الغلاة والباطنية والسبعية والقرامطة والنزارية من الإمامية فظاهر لأنهم كفرة من غير نكير1، وقد وافقوا في أكثر الاعتقادات الفرق الأربعة من الكفار.وأما مشابهة الكل مذهب اليهود فإنهم يقولون﴿ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾[2] وكذلك الغلاة يقولون لأولاد علي أبناء الله. واليهود يبغضون جبريل وكذلك الغرابية. واليهود يقولون نحن أحباء الله، وكذا الغلاة. واليهود يقولون ليس محمد رسول الله، وكذلك الرزامية. واليهود لعنهم الله يذمون النبي العربي، وكذلك الذمية. واليهود ينكرون نبوته عليه الصلاة والسلام، وكذلك الغرابية.وأما مشابهة مذهبهم لمذهب النصارى فلأن النصارى يقولون: ﴿ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ﴿٣٠﴾ ﴾[3]، وكذلك السبئية يقولون لأولاد علي أبناء الله. والنصارى يقولون بتعدد الآلهة، وكذلك الغلاة كما تقدم. والنصارى يقولون إن الله يحل في بعض أبناء البشر، وكذلك النصيرية والإسحاقية[4].إلخ .

والنصوص في فضل الصحابة في السنة مستفيضة منها:ما جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه)[5]، وعن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد، وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أحدا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه»[6] فيا سبحان الله!! هذا الحطاب موجه في بادئ الأمر لصحابي متأخر في الإسلام

---

[2].(سورة التوبة الآية 30.).

[3].(سورة التوبة الآية 30.)

[4]. السيوف المشرقة ومختصر الصواقع المحرقة(ص: 687)، وهو:مختصر لكتاب(الصواقع المحرقة لإخوان الشياطين والزندقة)، مؤلف الأصل:نصير الدين محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي،هـ وشذبه:أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى:1342هـ)،ت/د. مجيد الخليفة،ن/ مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع،القاهرةط/1، 1429 هـ 2008 م.

[5] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (5/ 8)للإمام البخاري،

[6]. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (4/ 1967)كتاب الفضائل،باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم،حديث رقم2541) ،للإمام مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ).

لما بدر منه في حق صحابي آخر يعد من السابقين الأولين،الذين نصروا الإسلام ،وأهله قليل،وهو في غربة عظيمة،والصحابي الذي قيل في شأنه هذا الحديث وإن كان من المتأخرين إسلاما إلا أنه أحد عظماء هذا الدين ،حيث نصر الله به الدين،وأغاظ به الكافرين،حتى لقبه رسول اللهﷺ بسيف الله[1] وقال رسول اللهﷺ:(اللَّهُمَّ هُوَ سيفٌ مِنْ سيوفِك انتصِر بِهِ)[2] وذلك عند إخباره بما جرى لأهل مؤتة.

فإذا كان هذا الخطاب لخالد فكيف بمن هو دونه من الصحابة ومن جاء بعدهم،لا شك أنّ الأمر أعظم،وأخطر،ولذا فالواجب على المسلم الذي يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يحفظ لسانه،وينشغل بعيوب نفسه،سلامة لنفسه،وصيانة لأعراض المسلمين،ورعاية لحقوق الله ،وحقوق عباده ،والمراد أن القليل الذي أنفقه أحدهم أكثر ثوابا من الكثير الذي ينفقه غيرهم وسبب ذلك أن إنفاقهم كان مع الحاجة إليه لضيق حالهم ولأنه كان في نصرته صلى الله عليه و سلم وحمايته غالبا ومثل إنفاقهم في مزيد الفضل وكثير الأجر باقي أعمالهم من جهاد وغيره لأنهم الرعيل الأول الذي شق طريق الحق والهداية والخير فكان لهم فضل السبق الذي لا يداينه فضل إلى جانب شرف صحبتهم رسول الله ﷺوبذلهم نفوسهم وأرواحهم رخيصة دفاعا عن رسول الله ﷺ ونصرة لدينه[3] ورحم الله صاحب معالم في الطريق[4] الذي سجل في أحد مباحثه عنوانا يقول فيه(جيل قرآني فريد)وتحته يقول:(لقد خرَّجت هذه الدعوة جيلاً من الناس.. جيلاً مميزًا في تاريخ الإسلام كله وفى تاريخ البشرية جميعه . ثم لم تعد

---

[1].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه – طبع دار الشعب (7/ 92)ورد على لسان ابن عَبَّاسٍ (خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سَيْفُ اللهِ).

[2].ينظر/التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (10/ 152)،مؤلف أصل الكتاب/ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ).ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: 739هـ) والتعليقات الحسان: لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)ن/دار باوزير للنشر والتوزيع، جدة – السعودية، ط/1، 1424 هـ – 2003 م.

[3]. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(مع تعليقات مصطفى البغا)(3/ 1343)، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ،ط/3، 1407 – 1987،ت/د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق.

[4].انظر معالم في الطريق(ص: 17) لسيد قطب،ت/ علي بن نايف الشحود ،الباحث في القرآن والسنة، الطبعة الأولى1430 هـ

تخرج هذا الطراز مرة أخرى .. نعم وُجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ . ولكن لم يحدث قط أن تجمَّع مثل ذلك العدد الضخم ، في مكان واحد ،ولو وقفنا أمام مدلول هذه الحقبة من الزمان من حياة هذه الدعوة ،لوجدنا أنّ سرها هو(القرآن)الذي بين أيدينا،وحديث رسول اللهﷺ ،وكلاهما محفوظان بخفظ الله لهما،فمالذي تغير؟والجواب أنّ مصدر التلقي الذي حافظ عليه رسول اللهﷺ هو الذي أصيب في مقتل،حيث اتجهنا إلى مناهج الشرق والغرب،وخوفا من هذا،زجر رسول اللهﷺ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما رأى في يده صحيفة من التوراة . وعن جابر بن عبد الله ، قال : قال رسول الله ﷺ:لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء ، فإنهم لن يهدوكم ، وقد ضلوا ، فإنكم إما أن تصدقوا بباطل ، أو تكذبوا بحق ، فإنه لو كان موسى حيا بين أظهركم ، ما حل له إلا أن يتبعني[1].

قال البغدادي[2]: والأخبار في معنى عدالتهم تتسع، وكلها مطابقة لما في نص القرآن، وجميع ذلك يقتضي طهارة الصحابة، والقطع على تعديلهم ونزاهتهم. فلا يحتاج أحد منهم ،مع تعديل الله تعالى لهم، المطلع على بواطنهم، إلى تعديل أحد من الخلق له على أنه لو لم يرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها – من الهجرة، والجهاد، والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين – القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدلين والمزكين الذين يجيئون من بعدهم أبد الآبدين[3].

---

[1].مسند أحمد (3/ 338) ،لأبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني(المتوفى : 241هـ)من حديث جابرﷺ.وانظر السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي (2/ 10) للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي./ومؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني.،ت/،ن/ مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد،ط/1، 1344هـ.

[2] . أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق الامام المحدث، انظر التعديل والتجريح، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح (1/ 66) ت/ د. أبو لبابة حسين.

[3] . العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ (105/1)بتصرف.قدم له وعلق عليه: محب الدين الخطيب رحمه الله ، ن/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية. ط/ 1، 1419هـ.

وهو للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: 543هـ) صنف التفسير وأحكام القرآن وشرح الموطأ وشرح الترمذي وغير ذلك وولي القضاء ببلده، انظر طبقات المفسرين العشرين/ لجلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)،ت/ علي محمد عمر، ن/ مكتبة وهبة – القاهر، ط/1، 1396،وانظر

المبحث الثاني

ضعف الوازع الإيماني والأخلاقي وقلة روح المسؤولية

المطلب الأول

الغيبة والنميمة،وفيها مسألتين

المسألة الأولى:أن الغيبة والنميمة هما من أخطر الأفات التي يقع فيها كثيرمن الناس فتجدهم يتحدثون بأحاديث لا واقع لها –زعموا–أنها خوض ولعب كما حكى الله لنا قصة أولئك النفر من المنافقين في عهد الرسول ﷺ في قوله تعالى﴿ يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ

إيضاً طبقات المفسرين للداوودي (2/ 167) ن/ دار الكتب العلمية – بيروت ،راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر/لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ).،وينظر كذلك تأكيدا لما ذكره البغدادي، تفسير السمرقندي بحر العلوم (2/ 53).

عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾[1].جاء في تفسيرها حديث عبد الله بن عمر قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما : ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺفبلغ ذلك النبي ﷺونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول الله:(إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ ﴾[2].

وأمثال هؤلاء من الطاعنين والمشهرين بالناس ظلما وعدوانا يوجدون في كل عصر ومصر ولابد لردعهم من سلطان تقوم به حجة الله على الناس، وينزجر به من شاء الله هدايته. ولقد حث الإسلام أتباعه على حفظ الجوارح إلا من خير ،فقال سبحانه﴿ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾[3]،وقال سبحانه: ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾[4] وقال ﷻ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾[5]،.وقال الرسول ﷺ : (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا)[6]

---

[1] سورةالتوبةالآية64-66.

[2].تفسير ابن أبي حاتم ،(ج 35 / ص 477)مرجع سابق، وانظر السنن الكبرى للبيهقي ،ج 9 /ص 33)مرجع سابق ، والمعجم الكبير للطبراني – (ج 3 / ص 273).

[3].[سورة النساء الآية: 114].

[4].[سورة ق،الآية: 18].

[5] . [سورة الإسراء الآية: 36].

[6] . سنن الترمذي (4/ 606) حديث رقم(2407)، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،باب ما جاء في حفظ اللسان،ت/شاكر ،محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى: 279هـ)مرجع سابق، مسند أحمد (18/ 402)حديث رقم(11908)،من حديث أبي سعيد الخدري، ط /الرسالة.

وجاء في كلام من حكم الشافعي[1]:

وجدْتُ سكوتي متجراً فلزمتهُ ... إذا لم أجدْ ربحاً فلسْتُ بخاسرِ

وما الصمتُ إلا في الرجالِ متاجرٌ ... وتاجرُهُ يعلو على كلِّ تاجرِ

الإمام الشافعي[2] رضي الله عنه:

إذا رمت أن تحيا سليما من الردى ... ودينك موفور وعرضك صين

فلا ينطقن منك اللسان بسوأة ... فكلك سوءات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك معائبا ... فدعها وقل يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... ودافع ولكن بالتي هي أحسن

ولقد أحسن من قال[3]:

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا

ولئن ندمت على سكوتك مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

ومن أصغى إلى الغيبة فقد وقع في الإثم والريبة، فصن سمعك عن الغيبة والأذى، فإنك مسئول عن سمعك وبصرك ولسانك، فلا تكن من الغافلين، وفي الذكر الحكيم: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ فأحسن استخدام سمعك قبل فوات وقتك وحلول سؤالك، وتب عما سمعته من القبيح؛ تستقم وتسترح:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند استماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه[4]،([5]).

---

[1] . ديوان الإمام الشافعي (ص: 49).

[2] . ديوان الإمام الشافعي (ص: 108)مرجع سابق.

[3].نسب هذا الشعر إلى/ إبراهيم بن المهدي،انظر إلى/ ،الموشى = الظرف والظرفاء (ص: 8) المؤلف: محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (المتوفى: 325هـ)،ت/ كمال مصطفى،ن/ مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر – مطبعة الاعتماد،ط/2، 1371 هـ – 1953 م.

[4].من شعر محمود الوراق.

[5].صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال (1/ 497) الفصل الثامن عشر،الغيبة، الأعذار المرخصة في الغيبة،القاضي/حسين بن محمد المهدي ،،ن/سُجل هذا الكتاب بوزارة الثقافة، بدار الكتاب برقم إيداع (449) لسنة2009م،راجعه،الأستاذ العلامة عبد الحميد محمد المهدي،مكتبة المحامي، أحمد بن محمد المهدي.

وعن أبي موسى الأشعري أنه قال: (قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده)[1] وعن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»[2]

وهما محرمتان في ديننا الإسلامي الحنيف بل لا يوجد اليوم على وجه الأرض قانون يحرم أو يجرم الغيبة فالحمد لله على نعمة على الإسلام، ففي التنزيل يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾[3] . وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ ﴾[4] ،وقال ﷻ: ﴿ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ ﴾[5].﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ﴾[6] ففي هذه الآيات ينهى الله عباده المؤمين عن الهزء والسخرية بالمؤمنين وعن احتقارهم وإزرائهم وهمزهم ولمزهم بالقول والفعل،(والهمَّاز اللَّماز من الرجال مذموم ، كما قال تعالى ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ﴾[7]

---

[1] .الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه للإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري، (1/ 11) ،كتاب الإيمان باب: أي الإسلام أفضل؟،حديث رقم(11) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (1/ 65) ، للإمام مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ). كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل ،حديث رقم(64).

[2] .سنن الترمذي ت/شاكر (4/ 363)لأبي عيسى الترمذي، (المتوفى: 279هـ)مرجع سابق.وانظر المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (4/ 360) المستدرك على الصحيحين،المؤلف/ محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1 ، 1411 – 1990،ت/ مصطفى عبد القادر عطا.

[3] .(سورة الحجرات الآية 12).

[4] (سورة الحجرات/11).

[5] .(سورة القلم/الآيتان10_11).

[6] .(سورة الهمزة الآية رقم 1).

[7] .(سورة الهمزة الآية رقم 1).

فالهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴾[1]أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾ [2] وأمّا الأحاديث في ذلك فكثيرة منها ما عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قال: «أتدرون ما الغيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»)[3]. في أكل أكل لحم البشر والاستطالة عليهم قال القائل[4]:

ويحييني إذا لاقيته ... وإذا يخلو له لحمي رتع.

ومن باب التشنيع على آكلي لحوم البشر ورد في الحديث (إِنَّ أَرْبَى الربا استِطالةُ الرجل في عِرْضِ أَخيه) عن أنسِ بنِ مالك، قال: قال رسولُ الله ﷺ: (لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهِم)[5]فهنا صور لنا رسول اللهﷺ مشهدا من مشاهد أهل النار نسأل الله السلامة والعافية وهو مشهد رهيب ومخوف وحتى ينجى المسلم مما وصف في الحديث فعليه بالمحافظة على جوارحه،ولا سيما اللسان الذي كان يخاف غوائله كبار الصحابة مثل عمر وأبي بكر، عن أبي برزةَ الأسلميِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ:(يا معشرَ من آمنَ بلسانِهِ ولم يدخُلِ الإيمانُ قلبَهُ، لا تغتابُوا المسلمين، ولا تتبِعوا

---

[1] .(سورة القلم/الآيتان10_11).

[2].تفسير القرآن العظيم (7/ 376) لابن كثير،مرجع سابق.

[3]. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ- (ج 12 / ص 476)، باب تحريم الغيبة، كتاب البر والصلة والآداب،للإمام مسلم، وانظر سنن أبي داود (7/ 237) ت/الأرنؤوط، باب ما جاء في الغيبة،كتاب الأدب ،مرجع سابق، ومسند أحمد – مسند أحمد (7/ 5) من حديث أبي هريرة.، ت/شاكر ،مرجع سابق.

[4] .القائل هو: الأخنس بن شهاب التغلبي،انظر المفضليات (ص: 203) المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (المتوفى: نحو 168هـ)،ت/ وشرح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون،ن/ دار المعارف – القاهرة،ط/6.،وقيل إنها:سويد بن أبى كاهل،انظر. نهاية الأرب في فنون الأدب (3/ 69)لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)،ن/ دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة،ط/1، 1423 هـ.

[5]. سنن أبي داود ت الأرنؤوط (7/ 240)كتاب الأدب،باب في الغيبة ،حديث رقم(4878/ 1)،ت، الأرنؤوط ،مرجع سابق.

عوراتِهم، فإنَّه من اتَّبعَ عوراتِهم يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ، ومن يتَّبعِ اللهُ عورتَهُ يفضَحْهُ فى بيتِه)[1] إذا فآفة اللسان المطلق من قيود وضوابط الشريعة خزي وندامة في الدنيا ،ثم يكب صاحبها على وجهه أو على مناخره كما أخبر الصادق المصدوق في حديث معاذ ﷺ.

وفي النميمة وقالة السوء والسعي بين الناس بالفساد: جاء فيها ما روى الترمذى وغيره عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ مَرَّ رَجُلٌ عَلَى حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّ هَذَا يُبَلِّغُ الْأُمَرَاءَ الْحَدِيثَ عَنْ النَّاسِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ).قَالَ سُفْيَانُ وَالْقَتَّاتُ النَّمَّامُ [2].

وللغبية صورا شتى في أحاديث الناس ذكرها أبو العباس ابن تيمية رحمه الله قال:(فمن الناس من يغتاب موافقة لجلسائه وأصحابه وعشائره مع علمه أن المغتاب بريء مما يقولون أو فيه بعض ما يقولون؛ لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطع المجلس واستثقله أهل المجلس ونفروا عنه فيرى موافقتهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم. ومنهم من يخرج الغيبة في قوالب شتى. تارة في قالب ديانة وصلاح فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدا إلا بخير ولا أحب الغيبة ولا الكذب؛ وإنما أخبركم بأحواله. ويقول: والله إنه مسكين أو رجل جيد؛ ولكن فيه كيت وكيت. وربما يقول: دعونا منه الله يغفر لنا وله؛ وإنما قصده استنقاصه وهضم لجانبه. ويخرجون الغيبة في قوالب صلاح وديانة يخادعون الله بذلك كما يخادعون مخلوقا؛ وقد رأينا منهم ألوانا كثيرة من هذا وأشباهه. ومنهم من يرفع غيره رياء فيرفع نفسه فيقول: لو دعوت البارحة في صلاتي لفلان؛ لما بلغني عنه كيت وكيت ليرفع نفسه ويضعه عند من يعتقده. أويقول: فلان بليد الذهن قليل الفهم؛ وقصده مدح نفسه وإثبات معرفته وأنه أفضل منه. ومنهم من يحمله الحسد على الغيبة فيجمع بين أمرين قبيحين: الغيبة والحسد. وإذا أثنى على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح أو في قالب حسد وفجور وقدح ليسقط ذلك عنه. ومنهم من يخرج الغيبة في قالب تمسخر ولعب ليضحك غيره باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزأ به. ومنهم من يخرج الغيبة في قالب التعجب فيقول تعجبت من فلان كيف لا يفعل

---

[1].سنن أبي داود (7/ 242) كتاب الأدب ،باب في الغيبة،حديث رقم:(4880)، ت الأرنؤوط ،المرجع السابق.

[2]. سنن الترمذي (4/ 375) أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ،باب ما جاء في النمام، حديث رقم:(2026)، ت، شاكر ،مرجع سابق.

كيت وكيت ومن فلان كيف وقع منه كيت وكيت وكيف فعل كيت وكيت فيخرج اسمه في معرض تعجبه. ومنهم من يخرج الاغتمام فيقول مسكين فلان غمني ما جرى له وما تم له فيظن من يسمعه أنه يغتم له ويتأسف وقلبه منطو على التشفي به ولو قدر لزاد على ما به وربما يذكره عند أعدائه ليشتفوا به. وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه. ومنهم من يظهر الغيبة في قالب غضب وإنكار منكر فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول وقصده غير ما أظهر.(والله المستعان) [1].ومن هذه النصوص يتجلى لنا اهتمام الإسلام الكبير بالآداب الجميلة والأخلاق الرفيعة ووضعه السياج وراء السياج للحفاظ على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم وانظر إلى رسول المرحمة والفضيلة الذي أرسله ربه ليتمم صالح الأخلاق ومكارمه، حيث يقول في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه» [2].وعن أبي هريرةﷺ، قال:قال رسول الله ﷺ:«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» وفي النميمة تخبيب للناس بعضهم على بعض ، وفاعل هذا ليس على نهج النبي ﷺ، فعن أبي هريرة ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ. ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده [3] امرأة على زوجها ، أو عبدا على سيده)[4].

---

[1] . مجموع الفتاوى (28/ 237) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ن/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة النبوية،عام/ن، 1416هـ/1995م.

[2] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (1/ 11)،كتاب الإيمان– باب المسلم من سلم المسلمون، حديث رقم9،مرجع سابق،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (1/ 65) لمسلم بن الحجاج ،كتاب الإيمان – باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل ، مرجع سابق.

[3] معنى خبب: أَيْ خَدَعَ وَأَفْسَدَ انظر عون المعبود – (ج 5 / ص 60)والنهاية في غريب الأثر، تأليف/أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ،الناشر/المكتبة العلمية – بيروت ، 1399هـ – 1979م.

[4] المستدرك على الصحيحين للحاكم – (ج 6 / ص 415)، سنن أبي داود (ج 13 / ص 385).

المسألة الثانية: ما يخرج من باب الغيبة: يخرج من الغيبة ستة أمور ذكرها العلماء،وقد نظمها أحدهم في بيتين قال[1]:

القدح ليس بغيبةٍ في ستةٍ ..... متظلم ومعرّفٍ ومحذرٍ

ومجاهر فِسقاً ومستفتٍ ومن..... طلب الإعانة في إزالة منكر

وهذه الأمور الستة متفق عليها بين أهل العلم والدين،وبيانها كما يلي:

النقطة الأولى:المتظلم :فيجوز له أن يذهب إلى الحاكم أوالقاضي ويذكر له مظلمته من فلان بن فلان فهذا جائز ولا حرج فيه شرعا وله أمثلة فمن القرآن قوله تعالى:﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ الآية ،وله أدلة كثيرة في زمن النبي ﷺوما بعده من الخلفاء والأمراء إلى يومنا هذا؛ ومثال للمتظلم في عهد النبي ﷺ:ما روى أَبِو هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَشْكُو جَارَهُ فَقَالَ اذْهَبْ فَاصْبِرْ فَأَتَاهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَالَ اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ فَطَرَحَ مَتَاعَهُ فِي الطَّرِيقِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ فَيُخْبِرُهُمْ خَبَرَهُ فَجَعَلَ النَّاسُ يَلْعَنُونَهُ فَعَلَ اللَّهُ بِهِ وَفَعَلَ وَفَعَلَ فَجَاءَ إِلَيْهِ جَارُهُ فَقَالَ لَهُ ارْجِعْ لَا تَرَى مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُهُ)[3]وكذلك قصة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان لما اشتكت ﷺ :لرسول الله ﷺ شح زوجها:(إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي جناح أن آخذ من ماله سرا؟ قال: «خذي أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف»[4].

---

[1] . انظر كتاب/غذاء الألباب شرح منظومة الآداب – العلمية (1/ 85) تأليف/ محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي،ن دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – 1423 هـ – 2002 م،ط/2،،ت/ محمد عبد العزيز الخالدي،وموسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (2/ 141) لياسر عبد الرحمن،ن/ مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة،ط/1، 1428 هـ – 2007 م.

[2] . سورة النساءالآية: ١٤٨

[3]. سنن أبي داود ت الأرنؤوط (7/ 462)كِتَاب الأدب باب فِي حَقِّ الْجِوَارِ،حديث رقم (5153).

[4].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (3/ 79) للإمام/ البخاري256) كتاب البيوع ،باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم: في البيوع والإجارة والمكيال والوزن، وسننهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة ،حديث رقم(2211). وانظر المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (5/ 129) للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ) كتاب الأقضية ،باب قضية هند ،حديث رقم(1714)

النقطة الثانية المعرّف: لو ذكر إنسانا بصفة أو اسم يعرف به فليس هذا من النقيصة في شيء بل هو جائز مثل أن يقول جاء الأحول أو خرج الأعور أو يقول كنّا في مجلس الأعمش،وهكذا كانت صفتهم ، ولايعرفون إلا بهذا الوصف،فلا حرج في ذلك كما قرره علماء الجرح والتعديل، وغيرهم

النقطة الثالثة المستفتي: كذلك ليس بمغتاب وقد روى ما يؤكد ذلك الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:جاءت امرأة أبي سفيان – هند – إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت: يا رسول الله! إن أبا سفيان رجلٌ شحيح، فهل لي أن آخذ من ماله بغير إذنه؟ فقال لها: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف)[1]، وعدم انكار النبي صلى الله عليه وسلم عليها يعد إقرارا لها على قولها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يقر أحدا على باطل.

النقطة الرابعة المحذر:وهو الناصح للناس من الاعتقادات الفاسدة،والأخلاق الماجنة،والأفكار الوافدة على المسلمين مما يخالف ديانتهم ،ويفرق كلمتهم، ويشتت شملهم، فهذا من أفضل الناس قياما بالواجب، وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر بل يعدّ هذا من الجهاد في سبيل الله، ومن هذا القبيل ما قام به علماء المسلمين قديما وحديثا بالرد على أهل الباطل من الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، ومن ذلك أيضا جرح بعض الأقران بعضهم لبعض مثل أن يتكلم سني في صاحب بدعة فهذا مقبول منه، لأن هذا من باب البيان والتبليغ،والنصح لأمة الإسلام،ومن صفات النبي ﷺأنه الناصح الأمين والحريص على ما يفيد الناس في أمور دينهم ودنياهم وآخرتهم، قال تعالى:﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] كما وصف المؤمنين بالصبر والتواصي بالمرحمة،فليس المقصود من التحذير إشاعة السوء وإنما السح لله ولرسوله وللمؤمنين وهذا واجب شرعي لا ملامة عليه.

---

[1] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(7/ 66) للإمام/ لبخاري ،كتاب النفقات ،باب إذا لم ينفق الرجل فللمرأة أن تأخذ بغير علمه ما يكفيها وولدها بالمعروف ،حديث رقم (5364).،(ج 7 / ص 444) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (ج 9 / ص 105) ،كِتَاب الْأَقْضِيَةِ،بَاب قَضِيَّةِ هِنْدٍ،حديث رقم(3233).

[2].[سورة التوبة الآية : 128].

وقال الشيخ بكر أبو زيد في:(فالرد على أهل الباطل ومجادلتهم ومناظرتهم حتى تنقطع شبهتهم ويزول عن المسلمين ضررهم مرتبة عظيمة من منازل الجهاد باللسان، والقلم أحد اللسانين)[1].

وقد ورد إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله سؤال مفاده:(والداعي إلى البدعة والمرجح لها، هل يجوز الستر عليه أم يتأكد إشهاره ليحذره الناس ؟.الجواب: ما يجرح به الشاهد وغيره مما يقدح في عدالته ودينه فإنه يشهد به إذا علمه الشاهد به بالاستفاضة، ويكون ذلك قدحا شرعيا، كما صرح بذلك طوائف الفقهاء من المالكية، والشافعية، والحنبلية، وغيرهم في كتبهم الكبار والصغار، صرحوا فيما إذا جرح الرجل جرحا مفسدا أنه يجرحه الجارح بما سمعه منه أو رآه واستفاض. ما أعلم في هذا نزاعا بين الناس،فإن المسلمين كلهم يشهدون في وقتنا في مثل عمر بن العزيز، والحسن البصري، وأمثالهما والذين بما لم يعلموه إلا بالاستفاضة. ويشهدون في مثل الحجاج بن يوسف، والمختار بن أبي عبيدة، وعمرو بن عبيد، وغيلان القدري، وعبد الله بن سبأ الرافضي، ونحوهم من الظلم والبدعة بما لا يعلمونه إلا بالاستفاضة) [2].

والحديث بالخير إشادة بذكره وتكريم له وتعزية لأهله أن الناس راضون عنه ، والحديث بالشر تشويه لذكره وإهانة له ، وزيادة ألم على أهله ، وقد يقصد به التشفى الذى يورث الأحقاد التى ربما تؤدى إلى نزاع يحتدم ويشتد وتكون له آثاره السيئة ، والحديث عن الميت بالثناء أو الذم لا أثر له عند الله فهو سبحانه العليم بما يستحقه الميت من تكريم أو إهانة ، وقد يكون حديث الناس عنه دليلا ولو ظنيًّا على منزلته عند ربه ، لكن ذلك لا يكون إلا من أناس على طراز معين من الصلاح والتقوى وقول الحق لوجه الحق ، كالصحابة الذين جعل رسول الله ﷺشهادتهم للميت دليلا على منزلته عند الله، واستدل لهذا بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيﷺ، يقول: (مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وجبت» ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال: «وجبت» فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة، وهذا

---

[1].الرد على المخالف (ص39)للشيخ/بكر ابن عبد الله أبو زيد،عضو هيئة كبار العلماء في السعودية، رحمه الله.

[2] . الفتاوى الكبرى (4/ 193) كتاب الشهادة والأقضية والأموال، مسألة: في الشهادة على العاصي والمبتدع ،لشيخ الإسلام ابن تيمية،،،ط/1)، دار الكتب العلمية، 1408هـ - 1987م.

أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض»[1]؛فأهل البدع يجب التحذير منهم لأن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.قال ابن تيمية رحمه الله:(والداعي إلى البدعة مستحق العقوبة باتفاق المسلمين، وعقوبته تكون تارة بالقتل، وتارة بما دونه – من حبس وغيره – كما قتل السلف جهم بن صفوان والجعد بن درهم وغيلان القدري وغيرهم، ولو قُدِّرَ أنه لا يستحق العقوبة أو لا يمكن عقوبته فلابد من بيان بدعته والتحذير منها، فإن هذا من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله به ورسوله)[2]. فإذا كان التشهير على سبيل نصيحة المسلمين وتحذيرهم: كجرح الرواة،والشهود، والتشهير بمن لا يحسنون الفتيا، أو يكتبون فيما لا يعلمون أو المبتدعة، أو ممن يتظاهرون بالعلم وهم فسقة أصحاب سوء وفتنة فهو واجب.قال القرافي: أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر في الناس فسادهم وعيبهم، وأنهم على غير الصواب ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها ... بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق، ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه، بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة، فلا يقال في المبتدع: إنه يشرب الخمر ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه، ويجوز وضع الكتب في جرح المجروحين من الرواة.. بشرط أن تكون النية خالصة لله تعالى في نصيحة المسلمين في ضبط الشريعة، أما إذا كان لأجل عداوة أو تفكه بالأعراض وجرياً مع الهوى فذلك حرام)[3].و(وينكر على من تصدى للتدريس والفتوى والوعظ وليس هو من أهله ويشهر أمره لئلا

---

[1] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (2/ 97)، كتاب الجنائز ،باب ثناء الناس على الميت ،حديث رقم(1367)،للإمام البخاري،مرجع سابق.

[2] . الفتاوى الكبرى لابن تيمية (4/ 194)المرجع السابق..

[3] . أنوار البروق في أنواء الفروق (4/ 207) ن/ عالم الكتب ،ط/ بدون طبعة وبدون تاريخ ،تأليف/ لأبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن، أبو العباس، شهاب الدين الصنهاجي القرافي (المتوفى: 684هـ)،من علماء المالكية نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي) بالقاهرة. وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة. له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام – ط) و (الذخيرة – خ) في فقه المالكية،وغيرها. انظر الأعلام للزركلي، ومعجم المؤلفين (1/ 158).

يغتر به)[1]،وكذلك الخارجين عن جماعة المسلمين بسيفهم وسنانهم؛مثل الخوارج، والشيعة، والمرجئة، والقدرية والمعتزلة مقدمي العقول على النصوص المنزلة من السماء، وغيرهم،وها هو النبي ﷺ يحذر أهل بيته ، وهو توجيه لكل أمته ،وهشام بن عروة، أن عروة، أخبره: أن زينب بنت أبي سلمة، أخبرته: أن أم سلمة أخبرتها: أن ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث، فقال لعبد الله أخي أم سلمة: يا عبد الله، إن فتح الله لكم غدا الطائف، فإني أدلك على بنت غيلان، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي ﷺ:«لا يدخلن هؤلاء عليكن»)[2].ومثل تحذير الرسول ﷺ لعبد الله ين عمرو من ترك قيام الليل روى عن نفسه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»)[3] وفي هذا السياق قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رحمه الله:(اعْلَمْ أَنَّ ذِكْرَ الْإِنْسَانِ بِمَا يَكْرَهُ إنَّمَا يَكُونُ مُحَرَّمًا إذَا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ مُجَرَّدَ الذَّمِّ وَالْعَيْبِ وَالتَّنْقِيصِ ، فَأَمَّا إنْ كَانَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ عَامَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ أَوْ خَاصَّةٌ لِبَعْضِهِمْ وَكَانَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ تَحْصِيلَ تِلْكَ الْمَصْلَحَةِ فَلَيْسَ بِمُحَرَّمٍ بَلْ هُوَ مَنْدُوبٌ إلَيْهِ .. وقد قرر علماء الحديث هذا في كتبهم في الجرح والتعديل وذكروا الفرق بين جرح الرواة وبين الغيبة وردُّوا على من سوَّى بينهما من المتعبدين وغيرهم ممن لا يتسع علمه... ولا فرق بين الطعن في رواة حفَّاظ الحديث ولا التمييز بين من تقبل روايته منهم ومن لا تقبل ، وبين تبيين خطأ من أخطأ في فهم معاني الكتاب والسنة وتأوَّلَ شيئاً منها على غير تأويله وتمسك بما لا يتمسك به ليُحذِّر من الاقتداء به فيما أخطأ فيه ، وقد أجمع العلماء على جواز ذلك

---

[1]وفي مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (6/ 11) ،ن/ دار الكتب العلمية ،ط/ 1، 1415هـ - 1994م. للخطيب / محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر. من أهل القاهرة ،له تصانيف كثيرة،انظر:معجم المؤلفين (8/ 269)،وديوان الإسلام (3/ 161) تأليف/ شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: 1167هـ)،ت/ سيد كسروي حسن،ن/دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ط/1، 1411 هـ - 1990 م.

[2] .الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (7/ 159)للإمام/محمد بن إسماعيل البخاري ،كِتَاب الْمَغَازِي،بَاب غَزْوَةِ الطَّائِفِ ،حديث رقم(3980)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،للإمام/ مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ). كِتَاب السَّلَامِ،،بَاب مَنْعِ الْمُخَنَّثِ مِنْ الدُّخُولِ عَلَى النِّسَاءِ الْأَجَانِبِ (ج 11 / ص 162)،حديث رقم(4048).

[3] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(2/ 54)كِتَاب الْجُمُعَةِ،بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ تَرْكِ قِيَامِ اللَّيْلِ لِمَنْ كَانَ يَقُومُهُ ، حديث رقم (1084) ،. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،- (ج 6 / ص 43).

أيضاً ... ولهذا نجد في كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير وشروح الحديث والفقه واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة بالمناظرات وردِّ أقوال من تُضَعَّفُ أقواله من أئمة السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم[1] .ولهذا نرى أنّ ردود العلماء على أهل الباطل وكتبهم طافحة بذلك قديمها وحديثها، لم يتركوا شاردة ولا واردة مما هو مخالف للشرع إلا دفعوها.

النقطة الخامسة المجاهر بالفسق:وهو ألصق ما يكون بموضوعنا، أخبر النبي ﷺ بأن الأمة في عافية إلاّ المجاهر، فقد روى أَبَو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: (كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنْ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ يَا فُلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ)[2] وَقَالَ الْخَلَّالُ: أَخْبَرَنِي حَرْبٌ سَمِعْت أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : إذَا كَانَ الرَّجُلُ مُعْلِنًا بِفِسْقِهِ فَلَيْسَتْ لَهُ غِيبَةٌ . وَقَالَ أَنَسٌ وَالْحَسَنُ : مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ فِيهِ ، ويدل الحديث على أن ارتكاب المعصية مع سترها أهون وأخف من المجاهرة بها، لأن المعصية مع الستر تقبل العفو الإلهي، أما مع المجاهرة فإنه لا يعفى عنها لما جاء في هذا الحديث وذلك لأن المجاهرة وقاحة وجرأة وانتهاك لحدود الله، واستخفاف بالشريعة وجاء في رواية أخرى عنه ﷺ :(وإن من المجانة) [3]، بدل المجاهرة، قال ابن بطال في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله. ثانياً: أن المجاهر بالمعصية يجوز اغتيابه، لأن النبي – ﷺ– وصفه بالمجانة، وهي الاستخفاف بمحارم الله، والتباهي بها أمام الناس، ومن كان هذا حاله ينبغي التشهير به فيجوز اغتيابه، لأنه نزع جلباب الحياء، فلا حرمة ولا كرامة له في نظر الإسلام، وأخذ بعضهم جواز غيبة المجاهر من قوله – ﷺ – " كل أمتي معافى إلَّا المجاهرون "قال معناه: أن كل واحد من العصاة معافي من الغيبة، فيجب أن يترك عرضه سليماً، ولا يغتابه أحد، إلَّا المجاهر فإنه يجوز انتهاك عرضه بالغيبة، لأنه غير

---

[1] الفرق بين النصيحة والتعيير(ج 1 ، 8) لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)،علق عليه وخرج أحاديثه/علي حسن علي عبد الحميد،ن/ دار عمار، عمان،ط/1، 1409 هـ – 1988 م.

[2].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(ج19/ص15) للإمام/ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، كتاب الأدب، بَاب سَتْرِ الْمُؤْمِنِ عَلَى نَفْسِهِ،.حديث رقم:(5608).

[3].المرجع السابق (8/ 24).

معافى، ولا صيانة لعرضه، ولا كرامة له، وهو استدلال وجيه[1].وَقَدْ احْتَجَّ الْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ عَلَى غِيبَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ وَأَهْلِ الرِّيَبِ بِقَوْلِهِ ﷺ فِي عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ لَمَّا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ: حيث روت أم المؤمنين عائشة ﵂: أن رجلا استأذن على النبيﷺ فلما رآه قال: (بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة) فلما جلس تطلق النبي ﷺ في وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة: يا رسول الله، حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه؟ فقال رسول الله ﷺ: (يا عائشة، متى عهدتني فحاشا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره)[2]. قال القاضي[3] هذا الرجل هو عيينة بن حصن ولم يكن

---

[1].منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري (5/ 252) تأليف/ حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط،عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيون ،الناشر/ مكتبة دار البيان، دمشق – الجمهورية العربية السورية، مكتبة المؤيد، الطائف – السعودية ـ 1410 هـ – 1990 م.

[2].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(8/ 13)كتاب الأدب،باب«لم يكن النبي ﷺ فاحشا ولا متفحشا» ،حديث (6032). ،للإمام/ محمد بن إسماعيل البخاري ،وانظر المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ،(4/ 2002) كتاب البر والصلة والآداب،باب مداراة من يتقى فحشه،حديث رقم(2591)،للإمام/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ).

[3].القائل هو الإمام النووي أحد شراح صحيح الإمام مسلم. وهو/ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحوراني الشافعي:(631 – 676هـ، 1234– 1278م).كان إمامًا بارعًا حافظًا أمَّارًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، تاركًا للملذات ولم يتزوج. أتقن علومًا شتى. ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية. له تصانيف كثير منها: تهذيب الأسماء واللغات؛ والمنهاج في شرح مسلم؛ التقريب والتيسير في مصطلح الحديث؛ الأذكار؛ رياض الصالحين وهو كتاب جامع ومشهور؛ المجموع شرح المهذب؛ الأربعون النووية؛ مختصر أسد الغابة في معرفة الصحابة وغيرها،ينظر/ تاريخ الإسلام (15/ 324)، ت/بشار، لشمس الدين الذهبي (المتوفى: 748هـ)،وفوات الوفيات (4/ 265) محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: 764هـ)،ت/ إحسان عباس،ن/ دار صادر – بيروت،ط/1.وطبقات الشافعيين (ص: 910) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: 774هـ)،،ت/ د أحمد عمر هاشم، د محمد زينهم محمد عزب،ن/ مكتبة الثقافة الدينية ـ 1413 هـ – 1993 م.و طبقات الشافعية . لابن قاضى شهبة (2/ 153)مرجع سابق وهو القاضي: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي مولد القاضي عياض بمدينة سبتة في النصف من شعبان سنة 476هـ وتوفي بمراكش يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة، وقيل في شهر رمضان سنة 544هـ، رحمه الله تعالى، ودفن بباب إيلان داخل المدينة؛ وتولى القضاء بغرناطة سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة.؛ كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم وصنف التصانيف المفيدة منها " الإكمال في شرح كتاب مسلم " كمل به " المعلم في شرح مسلم " للمازري، ومنها " مشارق الأنوار " ذكره أبو القاسم بن بشكوال في كتاب " الصلة " فقال: دخل الأندلس طالباً للعلم، فأخذ بقرطبة عن جماعة، وجمع من الحديث كثيراً، وكان له عناية كبيرة به والاهتمام بجمعه وتقييده. وهو من أهل التفنن في

أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام فأراد النبي ﷺأن يبين حاله ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف حاله)1. وعن مجاهد2، عن عائشة، قالت: قال تعني النبي ﷺ: (إن من شرار الناس الذين يكرمون لاتقاء ألسنتهم)قلت: فيه دليل على أن ذكر الفاسق بما فيه ليعرف أمره، فيتقي، لا يكون من الغيبة، ولعل الرجل كان مجاهرا لسوء أفعاله، ولا غيبة لمجاهر.وقال إبراهيم: كانوا يقولون: ثلاثة ليست لهم غيبة: السلطان الجائر، وذو الهوى، والفاسق المعلن لفسقه)[3].ومثله عن الحسن، وقال الحسن: ليس لأهل البدع غيبة.

النقطة السادسة من طلب الإعانة على إزالة منكر:كمن عرف أن شخصا ما يريد الولوج في جريمة فاستعدي عليه بالحكام، أو من لديه قدرة أكثر منه لدفع الباطل وأهله؛ فلمثل هذا لابد من الشرح والتفصيل ، حتى يوجه المعين بما يلزم لإيقاف المعتدي إلى حده.

المطلب الثاني

الإساءة بالآخرين والتشهير بهم على وجه الحسد

ومن ذلك التشهي الكاذب، الذي يملأ القلوب الفارغة من الإيمان، وقد يكون تعززا حتى لا يرى غيره أحسن منه في المكانة، والصدارة، أوخوفا من المزاحمة له في مجال من مجالات الحياة، مثل ما يجري بين الضرات من تعييب هذه لتلك، أو التنافس الذي بين الإخوان،وذلك طلبا لمزيد إكرام من الوالدين، وقد يكون دافع الحسد،حب الرياسة وطلب الجاه وذلك لمن يريد أن يكون وحيد زمانه،ورفاقه،وقد يكون ناشئا عن خبث النفس،وسوء الطوية،والشح بالخير،بأي خير لأي أحد من الناس،وقد نهى الإسلام عن كلّ ذلك في نصوص كثيرة منها قوله تعالى:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾[4]الآية. ففيه شح بالخير،وفيه تمني زوال النعمة من المحسود،وفيه مشابهة لأهل الكتاب الحسدة الذين وذكرهم الله في قوله

العلم والذكاء واليقظة) ينظر :(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (3/ 483)لابن خلكان، وتذكرة الحفاظ، طبقات الحفاظ للذهبي (4/ 68)، طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: 470).

[1].المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(4/ 2002) كتاب البر والصلة والآداب ،باب مدارات من يتقى فحشه،مرجع سابق.

[2].مجاهد بن جبر ويكنى أبا الحجاج مولى قيس بن السائب المخزومي ،وينظر الطبقات الكبرى (5/ 466) لابن سعد ،ط /دار صادر.

[3].شرح السنة (13/ 142) للبغوي،مرجع سابق.

[4] . (سورة الحشر الآية: 9).

تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].الآية. وما روى أَبِو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺقوله(إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)[2] وعَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:(يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا)[3]. والتعدّي على حرمات الله من الظلم البين الذي نهى الله عنه فلا يجوز قربانه ، والله سبحانه وتعالى بين الحلال وقال بعده:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾[4] الآية.وذكر المحرمات وقال بعدها:﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[5].

---

[1] . (سورة البقرة الآية: 109).

[2] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(ج 19 / ص 8) – كِتَاب الْأَدَبِ،بَاب مَا يُنْهَى عَنْ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ ..حديث رقم (5604) ،للإمام/محمد بن إسماعيل البخاري والمسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ– كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ،بَاب تَحْرِيمِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ،(4641) (ج 12 / ص 414) للإمام/ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ).

[3] المرجع السابق – كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَاب تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم (4674) (ج 12 / ص 386).

[4] سورة البقرة الآية229.

[5] سورة البقرة الآية 187.

المبحث الثالث

علاج التشهير غير المشروع

المطلب الأول

تعزيز الوازع الإيماني والتربية على الأخلاق الحميدة والتذكير بمراقبة الله

وذلك بتربية الناس على الكتاب والسنة،ورفع مستوى الإيمان بالله والعمل الصالح، وكما هو معروف في عقائد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الرحمن، وينقص بطاعة الشيطان، وأن نقصانهما سبب للوقوع في المعاصي، وأن التشهير إذا كان المقصود منه إيقاع الظلم والانتقام فهذا محرم،وقد بينا حكمه في الصفحات السابقة، وإن كان المقصود منه النصح، فالنصح طريقه بينه العلماء،وهو طريق تحفه الرحمة، وإسداء المعروف، والتشهير بالباطل شماتة وتعيير، وفاعله يخشى عليه من العقاب الدنيوي والأخروي، ومن ذلك ما أخبر به المصطفي ﷺكما هو عند مسلم عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله ﷺ قَالَ:(اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)[1]،وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: "الظلم ظلمات يوم القيامة، وإياكم والفحش، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش، وإياكم والشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا"، قال: فقام رجل فقال يا رسول الله، أي الإسلام أفضل؟، قال: "أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك) 2،قال ابن حجر: قال ابن الجوزي:(الظلم يشتمل على معصيتين أخذ مال الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئا)[3].وتعزيز الجانب الأخلاقي لدى المسلم واجب شرعي،ومن ذلك النهي عن

---

[1]. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ . (4/ 1996)، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم،مرجع سابق.

[2] مسند أحمد (6/ 42) عبد الله بن عمرو بن العاص ، ت/شاكر، مرجع سابق.

[3]. فتح الباري شرح صحيح البخاري(5/ 100)كتاب الحدود، باب عفو المظلوم)مرجع سابق.

التجسس في خصوصيات الناس،كما أخبر الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢ ﴾[1].وليتذكر الإنسان وهو يطلق لسانه آيات الله المنزلة عليه مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ١٠٥ ﴾[2] وقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾[3] .وقوله عن المُرْجفين: ﴿ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا ٦١ ﴾[4]الآية.وعن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ قال:(إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)[5].وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى حدثنا أصحاب محمد – ﷺ– أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺفنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ: (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما)[6]، وعن عبد الله بن السائب بن يزيد، عن أبيه عن جده أنه سمع رسول الله –ﷺ يقول: "لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا ولا جادا –وقال سليمان: لعبا ولا جدا– ومن أخذ عصا أخيه فليردها)[7]،كما أنّ المسلم ليس بطعان ولا لعان كما ثبت ذلك: من حديث أبي الدرداء قال: قال: رسول الله ﷺ: «لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء، يوم القيامة»)[8] وعن عبد الله بن مسعودﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(إن المؤمن ليس باللعان ولا الطعان ولا الفاحش ولا البذيء)[9]وفي رواية عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ:(لا يكون المؤمن لعانا)[10]

---

[1] سورة الحجرات الآية12 .

[2] (سورة النحل الآية 105).

[3] (سورة الأحزاب الآية : 58) .

[4] (سورة الأحزاب : 61).

[5] سنن أبي داود (7/ 238)كتاب الأدب،باب في الغيبة،حديث رقم(4876) مرجع سابق.

[6]سنن أبي داود – كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح (ج 13 / ص 190).

[7] . سنن أبي داود ت الأرنؤوط (7/ 351) كتاب الأدب، باب من يأخذ الشيء على المزاح

[8] المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(4/ 2006) مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ)،حديث رقم (2598) ،كتاب البر والصلة والآداب،باب النهي عن لعن الدواب وغيرها.

[9] . مسند أحمد (4/ 95) ت/ شاكر،من حديث بن مسعود ﷺ.

[10] سنن الترمذي (4/ 371) أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،باب ما جاء في اللعن والطعن ت/شاكر ،مرجع سابق.

ومما يؤكد أن من أفضل ما يعالج به هذا الأمر التركيز على الجانب الأخلاقي،الأمر بالإعراض عن الجاهلين، كما هو في نص التنزيل:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1]وفي قوله:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴾[2]الآية.وكذلك قوله تعالى:﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[3].وهذا ما كان عليه المصطفى ﷺ حيث ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عندما سئلت عن خلقه، قالت :(كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)[4]،وسلسلة الأخيار ذرية بعضها من بعض فهذه هى مريم البتول ﷺ يأمرها ربها أن تعرض عن الجاهلين بقوله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ ﴾[5]الآية. وكان قد آذاها قومها ،كما ذكر القرآن الكريم.

---

[1]) (سورة الأعراف الآية :199) .

[2] (سورة المؤمنون الآية3).

[3](سورة القصص الآية:55).

[4] مسند أحمد – (ج 50 / ص 116) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مرجع سابق.

[5] سورة مريم الآية 26.

المطلب الثاني

الظن الحسن بالمسلم

وذلك كما جاء في قصة أبي أيوب وزوجته في ذلك الكلام،الذي رميت به أم المؤمنين وقول الله تعالى فيهما وأمثالهما:﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾[1] أي: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى[2].

والقصة أن أم أيوب قالت لأبي أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة، رضي الله عنها؟ قال: نعم، وذلك الكذب. أكنتِ فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنتُ لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك[3]وحذر الله سبحانه وتعالى مما وقع فيه بعض الصحابة مثل حسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش، ومسطح بن أثاثة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[4] ،وقد حذر الإسلام من الظن السيء عموما بلا بينة ولا برهان،فقال النبي ﷺ:عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله – ﷺ– قال «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)[5] الحديث،إياكم وسوء الظن وتحقيقه دون مبادىء الظنون التي لا تملك[6].

قال أبو عمر روى عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية قال قال رسول الله ﷺ (ثلاث لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد،قيل وما المخرج منهن يا رسول الله قال إذا

---

[1] سورة النور الآية رقم 12.

[2] تفسير القرآن العظيم(ج 6 / ص 27)لابن كثير الدمشقي رحمه الله.

[3] تفسير القرآن العظيم ج 6 / ص 27) لابن كثير الدمشقي رحمه الله.

[4] .(سورة النورالآية : ١٤ – ١٧.)

[5].فيض الباري على صحيح البخاري (6/ 142)كتاب الأدب، چ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحجرات: 12]الآية،حديث رقم (6066).

[6]. معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود (4/ 123) لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)،ن/ المطبعة العلمية – حلبط،1، 1351 هـ – 1932م.

تطيرت فلا ترجع وإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ). وروينا عن سفيان الثوري أنه قال الظن ظنان ظن فيه إثم وظن ليس فيه إثم فالظن الذي فيه الإثم ما يتكلم به والظن الذي لا إثم فيه ما لم يتكلم.وروى أشهب عن نافع بن عمر عن بن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب قال لا يحل لامرئ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءا وهو يجد لها في شيء من الخير مصدرا[1]،والله سبحانه وتعالى يقول﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

المطلب الثالث

عدم قبول الخبر إلاّ ببينة

قال الله تعالى:﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[3] وعدم سماع الكذب. فهو من صفات اليهود والمنافقين التي ذكرها في محكم التنزيل في قوله تعالى: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ ﴾[4]الآية.:يستجيبون له،منفعلون عنه﴿ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَۖ ﴿٤١﴾ ﴾[5] الآية: يستجيبون لأقوام آخرين لا يأتون[6]. ولقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[7] فيجب التبين مما يسمع ويقال حتى لا نؤذي أحدا من عباد الله ونحن لا نشعر ثم يتملكنا بعد ذلك

---

[1].الاستذكار (8/ 291) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)،ت/ سالم محمد عطا، محمد علي معوض،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1، 1421 – 2000.

[2].(سورة النجم الآية 28)

[3] (سورة النور الآية 13).

[4](سورة المائدة : 41).

[5].(سورة المائدة : 41).

[6].تفسير القرآن العظيم – (ج 3 / ص 113)لابن كثير.

[7].(سورة الحجرات الآية 6.

الندم والحصرة، والعرب تقول(إياك وما يعتذر منه)[1].،وعدم التثبت يعدّ أخا للكذب،قال ابن القيم رحمه الله[2].:(وإياك والكذب فانه يفسد عليك تصور المعلومات على ما هي عليه ويفسد عليك تصورها وتعليمها للناس فان الكاذب يصور المعدوم موجودا، والموجود معدوما، والحق باطلا ،والباطل حقا، والخير شرا والشر خيرا، فيفسد عليه تصوره وعلمه عقوبة له؛ ثم يصور ذلك في نفس المخاطب المغتر به الراكن إليه فيفسد عليه تصوره، وعلمه. ونفس الكاذب معرضة عن الحقيقة الموجودة ،نزاعة إلى العدم، مؤثرة للباطل، وإذا فسدت عليه قوة تصوره وعلمه التي هي مبدأ كل فعل إرادي؛ فسدت عليه تلك الأفعال وسرى حكم الكذبإليها فصار؛ صدورها عنه كصدور الكذب عن اللسان. فلا ينتفع بلسانه ولا بأعماله. ولهذا كان الكذب أساس الفجور كما قال النبيﷺ:(إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا)[3]، و(إن اللسان الكذوب بمنزلة العضو الذي قد تعطل نفعه، بل هو شر منه، فشر ما في المرء لسان كذوب؛ ولهذا يجعل الله سبحانه شعار الكاذب عليه يوم القيامة وشعار الكاذب على رسوله سواد وجوههم، والكذب له تأثير عظيم في سواد الوجه، ويكسوه برقعا من المقت يراه كل صادق؛ فسيما الكاذب في وجهه ينادى عليه لمن له عينان، والصادق يرزقه الله مهابة وجلالة، فمن رآه هابه وأحبه، والكاذب يرزقه إهانة ومقتا، فمن رآه مقته واحتقره)[4].

---

[1].مجمع الأمثال (1/ 44)لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: 518هـ)،ت/ محمد محيى الدين عبد الحميد،ن/دار المعرفة – بيروت، لبنان.

[2].الفوائد (ص: 135) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،ن/ دار الكتب العلمية – بيروت،ط/2، 1393 هـ – 1973 م.

[3].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (8/ 25) لمحمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الأدب ،باب قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين}[التوبة: 119] وما ينهى عن الكذب ،رقم الحديث(6094)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول اللهﷺ (4/ 2012) ،للإمام/مسلم بن الحجاج (المتوفى: 261هـ)، كتاب البر والصلة والآداب ،باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ،حديث رقم(2607).

[4].إعلام الموقعين عن رب العالمين (1/ 95)لابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)،ت/ محمد عبد السلام إبراهيمن، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/1، 1411هـ – 1991م.

المطلب الرابع

الحذر من القول بلا علم

لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[1] .والله سبحانه وتعالى أمر بالتثبت من الأخبار وعدم أخذ الكلام على عواهنه وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم . لمن اتَّهم زوجته بالزِّنا أن يتثبت كما جاء عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺبِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ)[2] وفي مقدمة صحيح مسلم: بَاب وُجُوبِ الرِّوَايَةِ عَنْ الثِّقَاتِ وَتَرْكِ الْكَذَّابِينَ وَالتَّحْذِيرِ مِنْ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، واستدل لهذا بقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾[3]،وقول الله تعالى﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴿٢٨٢﴾ ﴾[4]الآية. وقول الله تعالى:﴿ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٖ مِّنكُمْ ﴿٢﴾ ﴾[5]الآية.وقال:فَدَلَّ بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ هَذِهِ الْآيِ أَنَّ خَبَرَ الْفَاسِقِ سَاقِطٌ غَيْرُ مَقْبُولٍ وَأَنَّ شَهَادَةَ غَيْرِ الْعَدْلِ مَرْدُودَةٌ[6] وعَنْ حَفْصِ بْنِ عَاصِمٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ)[7]، ولما قال[8] عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين قولته الآثمة التي ذكرها الله في كتابه العزيز:﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

---

[1] (سورة الإسراء: 36).

[2].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (3/ 178) كتاب الشهادات،باب إذا ادعى أو قذف، فله أن يلتمس البينة، وينطلق لطلب البينة،حديث(2671)، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري.

[3].(سورة الحجرات الآية: ٦).

[4].(.سورة البقرة الآية: 282).

[5].(سورة الطلاق الآية: ٢).

[6].المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، بتصرف – (ج 1/ ص 7).للإمام/ مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ)،

[7] .المرجع السابق (ج 1 / ص 15).– باب النَّهْيِ عَنْ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، المقدمة،حديث رقم6،

[8].الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه(6/ 152).– كِتَاب تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَاب(اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)،حديث رقم(4901).

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]،يريد بالأعَزِّ نفسه وبالأذَلِّ رسول الله،فقام أحد شباب الصحابة وهو زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَذَكَرْ ذَلِكَ لِعَمِّه وذَكَرَ عَمِّه ذلك لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺفَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، يقول زيد: فَصَدَّقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَكَذَّبَنِي فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ فَجَلَسْتُ فِي بَيْتِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هذه الآيات من المنافقين(إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ – إِلَى قَوْلِهِ – هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – إِلَى قَوْلِهِ – لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ)[2] الآيات. والشاهد من هذه الحادثة تثبت النبي ﷺحتى مع أعدائه، فمن باب أولى المسلمين فيما بينهم أن يكونوا أهل تثبت وتحري،حتى لا يصيبوا قوما بجهالة،فيصبحوا نادمين .

[1].(سورة المنافقون الآية: ٨).

[2].(سورة المنافقون 8.1).

المطلب الخامس

الرجوع إلى جِهة الاختصاص قبل نشر المعلومات

لمعرفة الحق في الأخبار عدم الطيران بها وإذاعتها في الآفاق كما هو صنيع المنافقين والجهلة الذين يشيعون الأخبار قبل أن يتحدث عنها الأكابر وأهل الاختصاص،من العلماء والحكماء،والحكام،أو أي جهة اعتبارية،تعد ناطقة بما يخدم مصالحها.وتوجيها وتأديبا لهؤلاء المذابيع قال الله عزّ وجلّ:﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ ﴾[1]،وهذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته،لم يذيعوه،ولهذا قال:﴿ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾أي:يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولَّى مَنْ هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقْدِم عليه الإنسان؟ أم لافيحجم عنه؟،يقول الرسولﷺ: في الحديث الذي رواه أبو هريرةرضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه)،ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»[2] اوالشاهد من الحديث قوله:(أوليصمت):فيجب أن يكون ما يخرج من المسلم موزونا،ومضبوطا بضوابط الشرع الحنيف والشرع كل مبناه على المصلحة،فلا يقل إلا خيرا،وما ينمي مصلحة

---

[1].(سورة النساء : 83).

[2] . الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (8/ 11)لمحمد بن إسماعيل البخاري256هـ،كتاب الأدب،باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره،حديث رقم (6018).

تخدم الدين والدنيا والمعاش.ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴿لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لأن الإنسان بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم[1].وفي معنى الآية حديث سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يَكْذِبُ بِالْكَذْبَةِ تُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[2]. وإن شر الروايا روايا الكذب لأن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل[3].

المطلب السادس

الحذر من الخصومة اللدود

فعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺقال:(إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم)[4] ، وعن محمد بن كعب قال الألد الكذاب وكأنه أراد أن من يكثر المخاصمة يقع في الكذب كثيرا وتفسير الألد بالأعوج على ما وقع عند الكشميهني يحمل على انحرافه عن الحق وتفسير الألد بالشديد الخصومة لأنه كلما أخذ عليه جانب من الحجة أخذ في آخر أو لأعماله لديدية وهما جانبا فمه في المخاصمة وقال أبو عبيدة في كتاب المجاز في قوله قوما لدا واحدهم ألد وهو الذي يدعي الباطل ولا يقبل الحق [5] ،وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي

---

[1] انظر/ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص: 190)للسعدي (المتوفى: 1376هـ).

[2]المرجع السابق/البخاري(ج 19 / ص 47) –، كِتَاب الْأَدَبِ بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) وَمَا يُنْهَى عَنْ الْكَذِبِ،حديث رقم (5631).

[3].فتح الباري شرح صحيح البخاري (10/ 509) تأليف/ ابن حجر أبو الفضل العسقلاني ،ن/ دار المعرفة – بيروت، 1379هـ.

[4]. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (3/ 131)للبخاري،كتاب المظالم والغصب،باب قول الله تعالى:(وهو ألد الخصام)البقرة: 204. حديث رقم (2457).

. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ(ج 13 / ص 149) ،للإمام/ مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: 261هـ).– كِتَاب الْعِلْمِ ،باب فِي الْأَلَدِّ الْخَصِمِ، حديث رقم (4821).

[5].فتح الباري لابن حجر (13. 181)بتصرف،مرجع سابق.

ﷺقال:(أربع من كن فيه كان منافقا – أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق – حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر)[1]،والمؤمن يجب أن يكون هينا لينا ،متسامحا متغافرا، ولا يكون فجّا ولا غليظا،والنبي ﷺحث أمته على اللين، واللطف،والتراحم.

المطلب السابع

البعد عن مواطن الشبهات

وذلك أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، فمن حام حول الحمى فلا يلومن إلا نفسه، والناس إلا من رحم الله يجدون صعوبة في حفظ اللسان، والنبي صلى الله عليه وسلم وهو من هو في التقى لله والعلم به، وفي مكانته المصانة بين المسلمين، والتي لا يأتي خيال في الطعن فيها من قبل المسلمين؛ ومع هذا خشي أن يقذف الشيطان في قلوب الصحابه الذين رأوه واقفا مع إحدى نسائه على باب المسجد ، فكان ما يلي: روى علي بن الحسين رضي الله عنهما: أن صفية – زوج النبي ﷺ– أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله ﷺتزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان، فتحدثت عنده ساعة، ثم قامت تنقلب، فقام النبي ﷺمعها يقلبها، حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة، مر رجلان من الأنصار، فسلما على رسول الله ﷺ، فقال لهما النبي ﷺ: «على رسلكما، إنما هي صفية بنت حيي»، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، وكبر عليهما، فقال النبي ﷺ: «إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا»)[2].

قال ابن بطال:قال المهلب: فيه من الفقه تجنب مواضع التهم، وأن الإنسان إذا خشي أن يسبق إليه بظن سوء أن يكشف معنى ذلك الظن، ويبرئ نفسه من نزغات الشيطان الذي يوسوس بالشر فى القلوب، وإنما خشيعليه السلامأن يحدث على الرجل من سوء الظن فتنة، وربما زاغ بها فيأثم أو يرتد، وإن كان النبيّ ﷺمنزهًا عند المؤمنين من مواضع التهم، ففي قول

---

[1]. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺوسننه وأيامه (3/ 131)لمحمد بن إسماعيل البخاري – كِتَاب الْمَظَالِمِ وَالْغَصْبِ، بَاب إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، حديث رقم:(2459).

[2]. فتح الباري لابن حجر ، كِتَاب الْأَدَبِ، باب التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، حديث رقم(5751) (ج 17 / ص 429).

النبيﷺ« إنها صفية » السنة الحسنة لأمته، أن يتمثلوا فعله ذلك فى البعد عن التهم ومواقف الريب، وكما جاز أن يدرأ المعتكف عن نفسه بالقول، كذلك يجوز أن يدرأ عن نفسه بالفعل من يريد أذاه، وليس المعتكف أكثر من المصلى، وقد أبيح له أن يدرأ عن نفسه فى صلاته من يمر بين يديه فكذلك المعتكف[1].

وقال النووي رحمه الله:وفيه فوائد منها بيان كمال شفقته ﷺعلى أمته ومراعاته لمصالحهم وصيانة قلوبهم وجوارحهم وكان بالمؤمنين رحيما فخاف ﷺأن يلقى الشيطان في قلوبهما فيهلكا فإن ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع والكبائر غير جائزة عليهم وفيه أن من ظن شيئا من نحو هذا بالنبي ﷺكفر وفيه جواز زيارة المرأة لزوجها المعتكف في ليل أو نهار وأنه لايضر اعتكافه لكن يكره الإكثار من مجالستها والاستلذاذ بحديثها لئلا يكون ذريعة إلى الوقاع أو إلى القبلة أو نحوها مما يفسد الاعتكاف وفيه استحباب التحرز من التعرض لسوء ظن الناس في الإنسان وطلب السلامة والاعتذار بالأعذار الصحيحة وأنه متى فعل ماقد ينكر ظاهره مماهو حق وقد يخفى أن يبين حاله ليدفع ظن السوء وفيه الاستعداد للتحفظ من مكايد الشيطان فإنه يجري من الإنسان مجرى الدم فيتأهب الإنسان للاحتراز من وساوسه وشره)[2].

---

[1].شرح صحيح البخاري لابن بطال (ج 7 / ص 205) العلامة أبو الحسن؛ علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام،أخذ عن: أبي عمر الطلمنكي وابن عفيف وأبي المطرف القنازعي ويونس بن مغيث،قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة عني بالحديث العناية التامة؛ شرح الصحيح في عدة أسفار رواه الناس عنه، واستقضي بحصن لورقة، كان من كبار المالكية.كما ذكر ذلك القاضي عياض.توفي في صفر سنة (449هـ)،أنظر:سير أعلام النبلاء ط الحديث (13/ 303).

[2]. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (14/ 156) كتاب السلام،(باب بيان أنه يستحب لمن رؤى خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به)،حديث رقم (2175). لأبي كريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)،،ن/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/2، 1392.

المطلب الثامن

تشديد الرقابة والمحاسبة والعقاب للمتطاولين

والمسيئين للناس في مختلف شؤون حياتهم، وذلك بسن القوانين الرادعة لمن يقوم بهذا العمل بغير حق تعزيرا وتأديبا أوحدا،وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن. كما قال تعالى:﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾[1].﴿ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾لنحرشنك بهم ولنسلطنك عليهم،﴿ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾لا يساكنوك في المدينة إلا قَلِيلا حتى يخرجوا منها، وقيل: لنسلنطك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة. ﴿ مَّلْعُونِينَ ﴾ مطرودين، نصب على الحال،﴿ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ ﴾ وجدوا وأدركوا، ﴿ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾ أي: الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به[2]،وبهذه المناسبة،فيجب على أهل الإسلام عموما،وعلى حكوماتهم على وجه الخصوص أن يكون لهم ،من أوجه الرقابة ما يحمي الحقوق ،من وضع الأنظم،ومحاسبة المشرفين على مواقع التواصل في الشبكة العنكبوتية التي تسيء للآخرين ليلاً ونهارا، ويصعب الوصول إليهم وهم يتاجرون على حساب دين الناس وأعراضهم ،وأموالهم،ودمائهم .

---

[1] (سورة الأحزاب الآيتان 60).

[2] معالم التنزيل – (ج 6 / ص 377) للإمام البغوي ،مرجع سابق.